جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة:

جماليات المكان في الشعر الأندلسي
نماذج من ديوان "ابن خفاجة"

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

- آسية يسعد
- حنينة سواق

إشراف الأستاذ:

- موسى عالم.

اللجنة المناقشة:

- د. فريد ثابتي	جامعة بجاية	رئيسًـــــــــــــا
- أ. موسى عالم	جامعة بجاية	مشرفـــــا ومقــررًا
- أ.ريلي نصيرة	جامعة بجاية	عضـــوًا مناقشًـــا

السنة الجامعية:2018/2017

جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة:

جماليات المكان في الشعر الأندلسي
نماذج من ديوان "ابن خفاجة"

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

- آسية يسعد
- حنينة سواق

إشراف الأستاذ:

- موسى عالم.

اللجنة المناقشة:

- د. فريد ثابتي	جامعة بجاية	رئيسًـــــــــــــا
- أ. موسى عالم	جامعة بجاية	مشرفـــــا ومقــررًا
- أ.ريلي نصيرة	جامعة بجاية	عضـــوًا مناقشًـــا

السنة الجامعية:2018/2017

شكر وتقدير:

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب

ووفقنا إلى انجاز هذا العمل

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل "موسى عالم"

لقبوله الإشراف على مذكرتنا كما كان لنا نعم السند و الموجه.

ونشكر كلَّ من ساندنا حتى لو بكلمة تشجيع

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أبي الذي لم يبخل علي يوماً بشيء

وإلى أمي التي غمرتني بالحنان والمحبة

أقول لهما: أنتما وهبتماني الحياة والأمل والنشأة على شغف الاطلاع والمعرفة.

وإلى أختي الوحيدة "**مونية**" وأخويَّ "**مونير زهير**" وأسرتي جميعاً

إلى من كان يدفعني قدمًا نحو الأمام لنيل المبتغى"**سليم**"

ثم إلى كل من علمني حرفاً أصبح سنا برقه يضيء الطريق أمامي

آسية يسعد.

إهداء

إلى من احترقا لينيرا دربي، إلى اللذين يعجز اللسان عن تعداد فضائلهما

إلى الذي أعطى وضحى، وكان صبره وإصراره نبراسا يضيء مسيرة حياتي

والدي الحبيب.

إلى التي بعثت في نفسي الصبر و التفاؤل والأمل للمضيّ قدما قي تحقيق

أحلامي، والدتي الحبيبة.

إلى كل إخوتي" **سهيلة، زهير، أمل، ابراهيم.**"

إلى أختي "**ريما**" وزوجها "**عبد الهادي**"

أهدي إليكم هذا الجهد داعية من المولى عز وجل أن تكلل بالنجاح والقبول.

حنينة سواق.

مقدمة

مقدمة:

المكان هو الوعاء الحاوي للإنسان وهو الصلة الوثيقةللشعر والشعراء منذ القديم، فهو حاضن للوجود والكيان الإنساني على مر العصور، و تشكل المكان يعدّ من العناصر المهمة في النّص الشعري، فقد تميزّ هذا الأخير منذ القديم بكونه شعرًا مكانيًّا في ارتباطه بالبيئة التي أنتجته، و الإنسان الذي أبدعه فامتزج هذا المكان بالإنسان وبعاداته وتقاليد مجتمعه ولهذا نظر إليه الإنسان نظرة جمالية، وخاصة أننا نجد تميز ظاهرة الوصف في الشعر العربي القديم سواء أكان ذلك عن طريق وصف الأطلال، أو الطبيعة، أو الصحراء ومنه تنتج العلاقة الترابطية بين الإنسان والمكان، فمن خلال المكان يستعيد الشاعر ذكرياته وأيامه ومواقفه.

ومن أهم الشعراء البارزين في وصف المكان "**ابن خفاجة**" فلقد تأثر كثيرًا بالمكان وبالخصوص الطبيعة فوصفها وأحسن وصفها وهذه البراعة في التصوير هي الدافع الأول الذي حفزنا على اختيار هذا الشاعر والتطرق إلى ديوانه و دراسة بعض النماذج منه ولقد ركزنا في هذا الديوان على القصائد التي يكون فيها المكان جليًا مثل:(قصيدة الحديقة الراقصة، وصف متنزه، النهر، الجبل، السماء تحسد الأرض...وغيرها)

وخلال تحليلنا لهذه القصائد حاولنا الإجابة عن بعض التساؤلات ومنها:

- ما هي الأماكن التي ركز عليها ابن خفاجة في شعره؟

-وما دلالات هذه الأماكن؟

-هل استطاع الشاعر"ابن خفاجة" التفرد بطريقة خاصة في وصف المكان ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات،اتبعنا أحد المناهج الحديثة التي اهتمت بالخطاب الشعري، ألا وهو "المنهج الأسلوبي" و قد فتح لنا هذا المنهج المجال للإطلاع على النّص الشعري بطريقة علمية و كشف مواطن التميز والتفرد لدى الشاعر، وذلك بالاعتماد على النّص الشعري في حد ذاته. وقد تطلبت منا هذه الدراسة الوقوف على أهم المستويات المكونة للبنية الأسلوبية للنّص الشعري في القصيدة. ممّا جعل البحث أكثر اتساعًا من جهة وأكثر صعوبة من جهة أخرى. وقد تنوعت مصادر المذكرة ومراجعها بتنوع فصولها، ومن أهم تلك المراجع المعتمدة في بحثنا هذا: جماليات المكان لغاستون باشلار، المكان والمصطلحات المقاربة له لغيداء أحمد سعدون، قاموس الوسيط لمجد الدين يعقوب، المعجم الفلسفي لجميل صليبا.

جاءت خطة البحث مقسمة حسب مستويات الدراسة فضمت مدخلاً وفصلين وخاتمة.

أما المدخل فقدمنا فيه مفهوم المكان(لغةً واصطلاحًا) كما تطرقنا إلى ذكر الإشكالية الاصطلاحية للفضاء والمكان. كما لم نغفل عن ذكر أنواع الأماكن (المفتوحة، المغلقة، الإقامة، الإنتقال).ثم وقفنا عند تجليات المكان في الشعر العربي القديم.

وقسمنا هذا الفصل (الأولأنماط المكان) إلى ثلاث مباحث يسبقها مدخل نظري بسيط وفي المبحث الأول تناولنا فيه الطبيعة وكلّ ما يحيط بها من: الحدائق، أنهار، جبال.

أما في المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى دراسة المكان في المدينة أين ركزنا على بلدة الشاعر وذكرنا فيها الأماكن الواقعية والمتخيلة.

أما المبحث الثالث خصصناه لدراسة الأماكن المفتوحة من:حديقة، بحر وكذلك الأماكن المغلقة.

وينقسم الفصل الثاني كذلك إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:البعد النفسي للمكان و فيه درسنا القصائد ومدى تأثيرها في نفسية الشاعر.

المبحث الثاني: البعد التاريخي والفكري، تمحور البحث حول الدلالة التاريخية في شعر ابن خفاجة وأشرنا إلى مدى حرص ابن خفاجة على التعلم.

المبحث الثالث:البعد الفني الجمالي، وفي هذا المبحث ركزنا على الصور البيانية(التشبيه، الاستعارة، الكناية) وعلى المحسنات البديعية(الطباق، الجناس) وعلى التركيب النحوي ودرسنا فيه بنية التراكيب الفعلية والاسمية ثم الجملة المنفية بالإضافة إلى الأساليب(الإنشائي والخبري). كما تطرقنا إلى التقديم الذي تناولنا فيه تقدم المبتدأ على الخبر، تقدم شبه جملة وتقدم الأفعال). أما الخاتمة فهي عبارة عن حوصلة لأهم النتائج المتحصل عليها.

ومن الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا طيلة إنجازنا للبحث، قلة المراجع المتعلقة بالموضوع، لكن لم يكن ذلك عائقا أمامنا لإتمام البحث.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذ المشرف الذي لم يبخل علينا بشيء وكل الأصدقاء الذين دعمونا وسندونا إلى إتمام البحث ونتمنى أن يكون بحثنا هذا حافزًا لبدايات أخرى ونافذة مفتوحة أمام كل من يسهم في إثرائه.

مدخل

مدخل: مفهوم المكان وأنواعه

يعتبر مفهوم المكان من أكثر المفاهيم إشكالية، فقد عمل العديد من العلماء والفلاسفة على الفصل في طبيعة مفهومه وماهيته، عن أن يصلوا إلى الاتفاق على تعريف موحَد، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة مصطلح المكان بحد ذاته، لما يحمله من دلالة وتعقيد من جهة، و من مفاهيم متشعبة إضافة إلى تعدد وجهات نظر الباحثين وكذا تعدد مناطق الدراسة والغاية منها، فقد شكل مفهوم المكان نقطة تقاطع بين عدة معارف لغوية و فلسفية وعلمية وفنية.

1/ – **المفهوم اللّغوي للمكان** :

يعني المكان من الناحية اللغوية، على اختلاف المعاجم، الموضع، فقد أورده "**ابن منظور**" في "**لسان العرب**" في باب الميم تحت جذر "**مكن**" فقال:« **والمكان الموضع، والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع.**» [1]

كما نجد لهذه الكلمة (المكان) حضورًا في القرآن الكريم، حيث وردت في ثمانية وعشرين موضعً، بدلالات و معاني متنوعة، ومنها ما يلي:

1– المكان يعني (الموضع) أو (المحل)

كقوله تعالى : « **و اُذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ اِنْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًا.**» [2]

[1])– ابن منظور: لسان العرب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1993، ص569.

[2])– سورة مريم، الآية 6.

أي موضعًا أو محلا شرقيا عن أهلها أو عن بيت المقدس. [3]

2- و منها ما جاء بمعنى (بدل) مثل قوله تعالى: «**قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ إِنَ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدُنا مَكَانَهُ إِنَا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ** » ([4]) بمعنى بدلاً منه، أي خذ أًحدًا غيره.

كما ورد مصطلح المكان في سورة مريم كالأتي: «**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا.**» ([5]) فدلالة المكان في الآية هو الموضع .

بينما ورد ت في مواضع أخرى بمعنى المنزلة نجد ذلك في قوله تعالى:«**قُلْ مَن كَانَ فِي ضَلَالَةٍ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الْرَحْمَنّ مدَا حتَى إِذَا رَأَوّاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَا العَذَابَ وَإِمَا السَاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا.**» ([6]) فلفظة مكان هنا بمعنى المنزلة.

مفهوم المكان هو حاو للشيء، الذي يكون محتوى فيه ، و عرفه "الفيروز أبادي" على أنه «**الموضع، جمع أمكنة و أماكن، و المكان بالفتح.**» ([7])

وضع أغلب اللغويين القدامى للمكان مفهوما متقاربا و هو الموضع، و هذا بالرغم من الاختلافات الطفيفة و السطحية التي تميز بينهم، إلّا أنَ الجوهر واحد .

اكتسب مفهوم المكان في التعريفات الحديثة مواصفات و خصائص جديدة، إذ يشمل على مجموعة من الاشتقاقات، فـ «**المكان و الموضع عامة و خاصة، يقال المكان و منه**

---

[3])- غيداء أحمد سعدون شلالش: المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، الموصل العراق، المجلد 11، ع2، 2011، ص242.

[4])- سورة يوسف، الآية 78.

[5])- سورة مريم، الآية22 .

[6])- سورة مريم، الآية 75.

[7])- مجد الدين يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج4،دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، دت، ص274.

المعين، والمبهم، و المكانة، و الموضع، و الوضع، و الوضعة، و الحيز، المطرح، و اللطاة، و معلم الشيء. »([8])

نستخلص مما سبق ذكره تعدد الاشتقاقات الواردة حول لفظة المكان، ومما لاحظناه أيضاً أنا الجذر الأصلي للمكان هو " **ك – و – ن** " " **كون** " فالمكان هو الموضع حاوي الشيء.

2/- المفهوم الاصطلاحي للمكان:

تحمل لفظة المكان الكثير من المعاني و الدلالات بحيث اقتحمت العديد من الميادين ومجالات المعرفة العلمية والأدبية، باعتبار اختلاف وجهات النظر بين العلماء والأدباء إلاَ أنهم توصلوا إلى وضع مصطلحات ومفاهيم مقاربة له أو تدور في نفس قالب المكان.

«**فعلماء الفيزياء أكدوا على كون المكان متحركًا ، وذلك خلاف لنظرية أرسطو فيه ، وأثبت هذا الرأي كل من نيوتون و أينشتاين .إذ عده (المكان) هذا الأخير (أينشتاين) ثابتًا لإمكان تأثره بالجاذبية، و لتغيَر طوله عن طريق تغيَر سرعة الجسم بالنسبة للمراقب.**» ([9])

ومن هذا نستنتج أن المكان عند الفيزيائي ذاتيًا لا واقعيًا، وهذا خلاف ما ذهب إليه آخرون ، كما أنهم يعتبرون المكان متحرك نظرًا لتأثره بالجاذبية، ولتغير طوله بفعل تغير سرعة الجسم.

---

[8])–سمية بونية وونيسة قيدر: عنف المكان في شارع إبليس لأبن الزاوي، شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص أدب جزائري، 2013، ص13 .

[9])– المرجع نفسه، ص244 – 245.

أما المكان هندسيًا فهو: «**وسط غير محدود يشمل على الأشياء.** » ([10]) وهو متصل ومتجانس لا تميَز بين أجزائه، و ذو أبعاد ثلاثة هي: الطول، العرض، الارتفاع ...

وإذا جمعنا بين الزمان و المكان في تصور واحد يتشكل عن ذلك أربعة أبعاد وهي : الطول ، العرض ، الارتفاع والزمان. ([11])

هذه اللفظة ألا وهي المكان قد استخدمت في التاريخ والجغرافية معًا أو بتعبير أدق: «**الجغرافية مسكونة في التاريخ، وبذلك تدرك العلاقة الموجودة بين التاريخ و المكان من خلال صلتهما بجغرافيته.** » ([12])

3/- مفهوم المكان من المنظور الفلسفي :

« **المكان الموضع ، وجمعه أمكنة ، و هو المحل (lieu) المحدود الذي يشغله الجسم. تقول مكان فسيح، مكان ضيق. و هو مرادف للامتداد (etendue) »** ([13]).

في حين يذهب ابن سينا إلى تعريفه على النحو التالي : «**السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي .**»([14])

كما عرفه الحكماء الاشراقيين بأنه:«**البعد المجرد المجرد ، و هو ألطف من الجسمانيات، وأكتف من المجردات، ينفذ فيه الجسم ، و ينطبق البعد الحالي فيه على ذلك البعد في**

---

[10])- غيداء أحمد سعدون شلالش: المكان والمصطلحات المقاربة له، ص245.

[11])- ينظر: المرجع نفسه ، ص245.

[12])- ينظر :المرجع نفسه ، ص245.

[13])- جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ج2 ، الشركة العالمية لكتاب، لبنان ، ،د ط ، 1994 ، ص 412 .

[14])- المصدر نفسه، ص412.

أعماقه و أقطاره ، فعلى هذا يكون المكان منقسما في جميع الجهات ، مساويا للبعد الذي في الجسم، بحيث ينطلق احدهما على الآخر، ساريا فيه بكليته. » ([15]).

هناك اختلاف بطبيعة الحال في التعاريف التي وضعها فلاسفة اليونان عن الفلاسفة المسلمين، لكن رغم ذلك نجد أنه اختلافٌ طفيف.

أما (غاستون باشلار) فصرح أن المكانية تذهب إلى أبعاد مختلفة، و هي تتصل بالعمل الفني، ويتضح ذلك أكثر في قوله: «**أن المكان هو الصورة الفنية للمكان الأليف، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، و أنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا.**» ([16])

ومن هذا القول نلاحظ أن (باشلار) يعرف المكان على أنه البيت الأول الذي يترعرع فيه الفرد، وهو بيت الطفولة و مكان الألفة، بل هو المكان الذي نعتاد عليه تقريبًا منذ ميلادنا فهو الذي يحوي الفرد و يأويه.

في حين ينظر (كونت) « **إلى الميتافيزيقا على أنها مخالفات الماضي ، و أنها شيء ينبغي أن نتغلب عليه، بأن نتصرف للبحث عن قوانين و في ذلك تحويل لوجهات البحث من العلل والأسباب الغيبية المتعالية إلى الواقع بحيثياته المادية ، المحصولة في الزمان والمكان.**» ([17])

---

[15])- جميل صليبا:المعجم الفلسفي، ج2، ص 412 .

[16])- غاستون باشلار: جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، ط6، 2006، ص6 .

[17])- المرجع نفسه، ص9 .

ومن كل هذا يمكن أن نقول أن المكان من الوجهة الفلسفية حاو للأجسام ، و متصل الأجزاء ومتشابه الخواص،أي يصعب أو يستحيل الفصل بين أجزائه.

4- الإشكالية الاصطلاحية للفضاء و المكان:

إذا انطلقنا مما قلناه سابقا عن مفهوم المكان، في اللغة، الاصطلاح، عند القدماء، المحدثين و كذلك الفلاسفة، و إذا أمعنَا النظر في هذه التعاريف سنلاحظ أن هناك تداخلاً بين مصطلح المكان والفضاء، و هذا التداخل في المفهوم و يتضح من خلال تعريف الفضاء:«**الفضاء هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات و الأشياء و الأفعال، وبقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمان يتفاعل مع الفضاء، بل يمكن القول: إن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعله مع الفضاء أساسا.** » ([18])

ومن هذا القول نستنتج أن الإنسان مرتبط بفضائه أشد ارتباط، و هذا راجع للتفاعل المتبادل بينهما من تأثير و تأثر، فالإنسان يعيش كل حياته منذ ولادته في حضن هذا الفضاء، لذلك هو شديد التمسك به. و لا يستطيع العيش بمعزل عنه. و هذا ما يوحى إلى قول غابريل مارسيل:«**إن الإنسان غير منفصل عن فضائه، بل إنه هذا الفضاء ذاته.**» ([19])

ومنه نلاحظ أن الإنسان بقدر ما يتعلق بالفضاء كذلك يتعلق بالمكان حيث يحمل هذا الأخير أهمية كبيرة بالنسبة إلى الفرد فمنه ينطلق و إليه يعود، فإذا تمعنا النظر في حياتنا ككل

[18])- نصيرة زوزو: "إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر" مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع 6، جانفي 2010، ص 3.

[19])- المرجع نفسه ، ص3

سنستنتج أنها رحلة مكانية، و تكون نقطة الانطلاق فيها هو رحم الأم و مكان نهاية الرحلة هو القبر.أثارت قضية الفضاء و المكان جدلاً و نقاشاً حادين بين المفكرين والفلاسفة، و هذا راجع إلى المفاهيم الاصطلاحية المتداخلة فيما بينها و يظهر ذالك أكثر في هذا القول: «**يشيع مصطلح "الفضاء" عند النقاد الغربيين، إذ يعنونون به كتبهم ومقالاتهم، في حين يظهر مصطلح "المكان" على استحياء، لأداء غايات يرتضيها أصحابها، أما العرب فلا يصطنعون مصطلح "الفضاء" في كتاباتهم النقدية بخاصة، إنما يحتل مصطلح "المكان"عندهم مقاما طباعيا أكبر. كما يرفض البعض لفظة "الفضاء"ويرتضى تسمية أخرى، كما فعل "عبد المالك مرتاض" الذي يستعيض بها مصطلحا آخر هو "الحيز"، إذ يرى من منظوره الخاص أن المفهوم الأول قاصر بالقياس إلى الحيز،...**» ([20]).

ومنه نستخلص أن الغرب هم الأكثر ميول إلى مصطلح "الفضاء" عكس العرب الذين يفضلون مصطلح المكان.

أما فيما يخص الاختلاف الجوهري الموجود بين المصطلحين (الفضاء و المكان) هو:

1- "المحدود و غير المحدود": فالفضاء يمثل الاتساع و الامتداد و الفراغ أي كل ما يحيط بنا دون أن نلمس له حدودا. على عكس المكان الذي يتميز بضيق المعالم.

[20])- نصيرة زوزو: إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، ص 4.

2- "ملموس و مجسد" و "غير ملموس و مجسد": فالمكان كائن مجسد يمكن إدراكه بالحواس أو التصور الذهني. على خلاف الفضاء الغير الملموس و مجسد وبالتالي لا يمكن أن ندركه بالحواس. ([21])

ومن خلال هاتين الميزتين نستنتج أن الفضاء أوسع و أشمل من المكان و أن هذا الأخير هو جزء من الفضاء إذ يقتصر على الأماكن الهندسية.

5-أنواع الأماكن:

هناك صعوبات في تحديد أنواع الأماكن بصفة دقيقة و موحدة، و لكن توجد هناك اجتهادات تطبيقية حددت أنواع المكان وأبعاده و صفاته، وهذه الأخيرة أخضعته لمقاييس ومعايير معينة فكان هناك أماكن مفتوحة و أخرى مغلقة، و أماكن الانتقال و الإقامة، وغيرها من الأماكن الأخرى.

فطريقة معالجة المكان وتقسيمها تختلف من باحث إلى آخر و من عمل أدبي إلى آخر وفي هذا يقول حميد لحمداني: «**إن الأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكيلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع و الضيق أو الانفتاح و الانغلاق.**»([22])

يمكن إذن تقسيم أنواع الأماكن في الأعمال الأدبية كالآتي:

---

[21])- ينظر: نصيرة زوزو: إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص 10.

[22])- حنان بوقرة: جماليات المكان و الزمان في "رواية الفضيلة" لمصطفى لطفي المنفلوطي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم اللغة و الأدب العربي جامعة المسيلة، 2016، ص24.

1.5-الأماكن المفتوحة:

يعتبر المكان المفتوح بمثابة الفضاء الواسع الشاسع الذي لا حدود له، ولا قيود تتحكم فيه ف: «**المكان المفتوح هو المكان الذي لا تحده حدود هندسية أو عمرانية، فهو الفضاء المفتوح الذي يتصف بسعة مكانية غير محدودة، و الإنسان بطبيعته يحب التحرر من القيود المفروضة علية فيلجأ إلى الفضاء الفسيح. فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، ولكنها تنبسط خارج هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها، و تسقط على المكان قيمتها الحضارية.**» ([23])

فالمكان المفتوح تكثر فيه الحركة، فهو مساحة مفتوحة لا تحدها حدود ضيقة.

2.5-الأماكن المغلقة:

من اسمها توحي إلى مكان محدود وهي في العادة عبارة عن أبنية ذات حيز مغلق: «**هي الأماكن التي تتسم بمسافة مكانية محددة، أي تجددها حدود هندسية تحجم فضاءها، مثل الغرفة و البيت و السجن...و غيرها.**» ([24])

أي تتميز بالانغلاق و الانعزال عن العالم الخارجي، و تكون محاطة بأشكال هندسية متنوعة .

الأماكن المغلقة وهي الحواجز و القيود التي تمنع الإنسان من القيام بنشاطاته بكل أريحية والانتقال من مكان إلى آخر، وبالإضافة إلى الحالة النفسية التي يمكن أن تحول المكان المفتوح

[23]) – حازم حسن سعدون: تجليات المكان في شعر السّريّ الرّفّاء، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة المستنصرية، قسم اللغة العربية، المجلد الأول، ع210، 2014، ص147.

[24]) – المرجع نفسه ، ص160.

إلى مغلق والعكس صحيح إذ يمكن أن تحول المكان المغلق إلى مفتوح و هذا يعني أن للحالة النفسية دوراً مهماً في تحديد نوع المكان. ([25])

3.5-الأماكن الانتقال:

وتنقسم إلى أماكن انتقال عامة مثل (الأحياء و الشوارع، الأحياء الراقية و الأحياء الشعبية)، أماكن انتقال خاصة مثل (المقهى) ([26])

4.5 -أماكن الإقامة:

وتتفرغ إلى أماكن الإقامة الاختيارية (فضاء البيوت) وأماكن الإقامة الإجبارية (فضاء السجون). ([27]) أما "غاستون باشلار" فقد درس المكان في كتابه "جماليات المكان" و بيَن مدى تأثيره على المبدع والمتلقي، و المكان عنده هو الأليف، فقد انصبت دراسته على البيت الذي يترعرع فيه الإنسان من ولادته: «**بيت الطفولة هو مكان الألفة، و مركز تكييف الخيال، و عندما نبتعد عنه نظل نستعيد ذكراه، و نسقط الكثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية و الأمن اللذين** كان **يفرها لنا البيت.**» ([28])

إذن فمكان الأليف عند "غاستون باشلار" هو ذلك المكان الذي يترعرع فيه الإنسان منذ ولادته، ويترك ذكرياته التي لا ينساها مهما حدث.

---

[25]) – ينظر: حنان بوقرة: جماليات المكان و الزمان في "رواية الفضيلة" لمصطفى لطفي المنفلوطي، ص26.

[26]) – ينظر: سمية بونية و ونيسة قيدير: عنف المكان في رواية شارع إبليس لأمين الزاوي، ص26.

[27]) – ينظر: المرجع نفسه، ص26.

[28]) – غاستون باشلار: جماليات المكان،تر غالب هلسا، ص9

6-تجليات المكان في الشعر العربي القديم:

ورد مصطلح المكان في مواضع كثيرة في الشعر العربي القديم، فقد كان المكان عند الشاعر العربي قديماً بمثابة الركيزة التي يستند إليها وأبرز ما نجد عندهم افتتاح قصائدهم بالوقوف على الأطلال، حيث يستحضر الشاعر ماضيه و يحاول استعادة بذكرياته بتفاصيلها، و يقف ساعات طويلة يحاور الأماكن التي تعني له الكثير .لقد أظهر الشعر العربي الجاهلي أهمية المكان في حياة العرب وأبرز افتخارهم وانتمائهم وولاءهم للمكان.

إنَ للمكان نكهة خاصة تولد في الأديب إحساساً متميزاً يجعله ينتشي و يتصعد وجدانياً كلما لامس شعوره جانباً من ذلك المشهد المكاني الغائر في أعماق ذاكرته، وهو الأمر الذي يدفع الشاعر القديم إلى قطع الصحاري الموحشة، والبراري المقفرة، وطي المسافات البعيدة على ظهر راحلته متكبداً و عثاء السفر، ومشقة الترحال، والتنقل الالختياري، غير عابئ بالمصاعب والأهوال ليعيد نظره، ويسبح ببصره في أرجاء أطلال ذاهبة الملامح. ([29])

المكان عنصر جوهري بالنسبة للشعر، فهو يسهم في بناء القصيدة، و هو الذي يزود الشاعر بطاقة تعبيرية هائلة مشحونة بجملة من المشاعر والأحاسيس، فكثيرًا ما كان الشاعر الجاهلي يقطع مسافات طويلة على ظهر راحلته متحملاً عناء السفر كل ذلك في سبيل العودة إلى مكان تأثر به فيطيل فيه النظر كأنه يحاول إعادة بناء علاقته مع ذلك المكان الذي رسخ في ذاكرته ، هذا ما يثبت تفاعل الشاعر الجاهلي مع بيئته، خصوصًا المكان الذي ترك فيه

[29]) – باديس فوغالي: الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008، ص1.

ذكريات لا تنسى، فمن النماذج الشعرية التي نجد فيها ذكر المكان قصيدة "**زهير بن أبي سلمى**" الذي يقول في مطلع معلقته:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تُكَلَّمِ بحَوْمَانَة الدَّرَّاج فالمُـــــتَـــثَـــلَّمِ

وَدارٌ لَهَا بالرَّقْمَتَيْن كَأَنَّهَـــا مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ. ([30])

فمن الأماكن التي وردت في هذا المقتطف نجد: **حومانة الدراج، المتلثم، و الرقمتين.**

و يقول "امرؤ القيس"في مطلع معلقته:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ وَ مَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحَ فَالمِقْرَاة لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِما نَسَجَتها منْ جَنُوبٍ وَ شَمْأَلِ. ([31])

فسقط اللوى، وحومل، و المقراة كلها أسماء لأماكن تعلق بها "**امرؤ القيس**".

وغير ذلك من النماذج الشعرية التي نجدها حافلة بذكر شتى الأماكن. فالمكان عنصر أساس أسهب الشعراء في استعماله، تقريبًا في معظم قصائدهم ، إذ أن المتأمل في الشعر الجاهلي يجد أنه يعكس حياة الفرد الجاهلي و بيئته.

إن المكان هو الصفحة الوحيدة التي تطل على الماضي، وتؤرخ له بإخلاص، سو اء كان ذلك على مستوى الإستقطاب الموضوعي،أو على مستوى الاسترفاد الذاتي (**الوجداني**

[30]) – أحمد الأمين الشنقيطي: شرح المعلقات العشر و أخبار شعرائها، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط3، 2000، ص77.

[31]) – المرجع نفسه، ص 23

والنفسي)، فالنبش في هذه الصفحة ، هو بمثابة إعادة ماء الحبر للأحداث المحتفظ بها طول الزمن . ([32])

إن المكان من العناصر الأساسية التي ألهمت الشاعر العربي على قول الشعر والتفنن فيه، بحيث يولد في الشاعر إحساسًا يتغلغل في داخله أو في أعماقه كلما أتى على ذكر المكان الذي ولد فيه، و كبر و ترعرع فيه ، فهو مكان حفر في ذاكرته خالدة و تبقا كذلك، وكل هذا و ذاك يثبت أن للمكان أهمية بالغة في بناء القصيدة، مما يعني استحالة بناء أي عمل أدبي مهما كان جنسه بمعزل عن عنصر المكان.

[32]) – باديس فوغالي: الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ص181.

الفصل الأول:

أنماط المكان في الشعر"ابن خفاجة"

- المبحث الأول:أنماط المكان
- المبحث الثاني:وصف الطبيعة والعمران
- المبحث الثالث:المكان الواقعي والمكان المتخيل
- المبحث الرابع:الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة

المبحث الأول:

جماليات المكان الطبيعي

1- الطبيعة

2- الحديقة

3- الأنهار

4- الثلجيات

5- الجبال

المبحث الأول: جماليات المكان الطبيعي

المكان هو بمثابة الوعاء الذي يحوي الأشياء، ومن بين هذه الأشياء الإنسان والذي يتأثر بكل ما يحيط به، مما يجعل من المكان لوحة إنسانية تظهر وجوهًا مختلفة تؤثر على نفسية المبدع لحظة الإبداع . فيتجلى في المكان الآمن، والمطمئن الذكريات السعيدة والزمن المشرق . فيتحول هذا المكان إلى مكان الرؤيا الممزوج بالبركة والقداسة والانطلاق .. والمكان الذي يتجلى فيه قلق الشاعر ، وغربته النفسية يرتبط بالذكريات الحزينة ، وبالزمن النفسي الحزين فيشعر المبدع بثبات المكان، وثقله، فيتحول المكان إلى قيدٍ حامل رؤيا مقيدة في الوقت نفسه.

1- الطبيعة

كانت الطبيعة منذ القدم معينًا لشعراء في قول الشعر، بحيث الطبيعة القاحلة بمناظرها وصحاريها، فامتدت الطبيعة تلهم الشعراء في مختلف العصور، وبلغت أوجها في الأندلس إذ وهب لها الله طبيعة ساحرة وخلابة. جبالها الخضراء وسهولها الجميلة، وجريان أوديتها، بحيث وصفوها وقدموها لنا في لوحات فنية رائعة وكل ذلك له أثره في جمال الأندلس التي شغفت بها القلوب وهامت بها النفوس.

ومن هنا نجد تَعَلُّق الأندلسيين بها ومن بينهم نذكر "**ابن خفاجة**" [1] الذي أبدع في وصف هذه الطبيعة فأُطلق عليه لقب "**شاعر الطبيعة**"، وذلك لكثرة ما كُتب ضمن قصائده عن الطبيعة وجمالها في الأندلس، و في هذا الصدد يقول:

يَا أَهْلَ الأَنْدَلُسِ للهِ دَرُّكُـــــــــمُ مَاءٌ وَظِلٌ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَـــــارٌ

مَاجَنَّةُ الخُلْدِ إِلاَّ فِي دِيَارِكُـــــم وَهَذِهِ كُنْتُ لَوْ خَيَرْتُ اَخْتَـارُ

لاَ تَتَقُوا بَعْدَهَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الجَنَّةَ النَّارُ. [2]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن "ابن خفاجة" قد شبه "جنان الأندلس" بجنّة الخلد بمائها، ظلالها، ثمارها وأشجارها. فهو معجب أو بالأحرى مفتون بجمال وطنه "**الأندلس**"، وبلدته "**بلنسية**" وجزيرته "**شقر**".

2-الحديقة:

تفردت الأندلس بكثرة حدائقها، فكل مدينة منها لا تخلو من متنزه تنفرد به، و كانت هذه الأخيرة (الحديقة) حافلة بكل أنواع النوريات والأزهار المتنوعة الألوان والأصناف وفي هذا الصدد يقول ابن خفاجة في وصف الحديقة:

وَصَقِيلَةِ النُّوَّارِ تُلْوِى عِطْفَهَـــا ريحٌ تُلَفُّ فُرُوعَهَا مِمْـــــــــطَارٌ

عَاطَى بِهَا الصَّهْبَاءَ أَحْوَى أَحْوَرٌ سَحَّابُ أَذْيَال الصِّبَى سَحَّـــــارُ

---

[1])- ابن خفاجة: هو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة، ولدفي جزيرة شقر(451-533)من أعمال بلنسية احدى عواصم الأندلس، وعاش في أيام ملوك الطوائف إبان دولة المرابطون، عكف على اللهو، وتعاطى الشعر والنثر فبرع فيهما، حتى أعجب به مواطنوه، كما عكف على وصف الطبيعة.

[2])- ديوان ابن خفاجة:تحقيق مصطفى غازى، الناشر منشأ المعارف بالإسكندرية، دار المعارف مصر، 1960، ص 364

وَالنَّورُ عِقْدٌ وَالْغُصُونُ سَوَالِـفٌ وَالْجــزْعُ زَنْدٌ وَالْخَلِيجُ سِـــــوَارُ

بحَديقَة مَثَلَ اللَّمَى ظِلاً بِهَـــــا وَتَطَلَّعَتْ شَنَبًا بِهَا الْأَنْـــــــوَارُ

رَقَصَ الْقَضيبُ بهَا وَقَدْ شَرِبَ الثَّرى وَشَدَا الْحَمَـــامُ وَصَفَّقَ التَّيَّـــــارُ

غَنَّاءَ أَلْحَفَ عِطْفَهَا الوَرَقُ النَّـدى وَالْتَفَّ في جَنَباتهَا النُّـــــــتـوَّارُ

فَتَطَلَّعَتْ في كُلِّ مَوقِع لَحْظَـــــة منْ كُلِّ غُصْن صَفْحَةٌ وعِـــذَارُ. [3]

نلاحظ بأن"ابن خفاجة" قد تفنن في شعر النوريات: (نسبة إلى النور وبمعنى الزهريات). وفي وصف الحديقة اللّمى. إذ في البيت الأول: شبه الشاعر(ابن خفاجة) النوّار بالمرأة العطوفة التي تعطف على عائلتها، وهنّا النوار تعطف على الأرض لتحضنها بين أحضانها.

البيت الثاني: يواصل الشاعر دمج الطبيعة بالإنسان ، (تشبيه الأزهار والنَّوار بالمرأة). كما تحدث عن ساقية الخمر،إذاً هذا البيت يظهر المثلثا الذي عرف به "ابن خفاجة" والذي يتأسس على موضوع الطبيعة والمرأة والكأس.

في البيت الثالث: يتحدث عن اللوازم التي تستعملها المرأة لتتزين وتبدو جميلة، إذ شبه النور بالعقد، والغصون المتفرعة بشعر المرأة المتدلي، والزهر في الحديقة كأنه سوار.

في البيت الرابع: نلمس التشبيه أكثر بين المرأة والحديقة فلو حذفنا كلمة حديقة لكان البيت يتحدث عن المرأة والأسنان البيضاء والأنوار والعيون.

في البيت الخامس:تبدو الطبيعة وكأنها حشد من الناس في احتفال، فنرى القضيب في حالة سكر وقد بدأ بالرقص والحركة بعد شربه الخمر.

[3])- ديوان ابن خفاجة، ص 281

في البيت السادس والسابع : عودة السكون إلى الطبيعة بعد انتهاء الحفل، فهي في حالة الاستراحة أو النوم، لذا استعارت الحديقة الورق الندي غطاءً لها والتحفت به، والتفّت في كل جنباتها الأزهار البيضاء، وأصبحت الطبيعة وكأنها جنّة في كل موقع منها ذكريات لا تنسى ورؤيا مبدعة.

ونلاحظ أنّ الشاعر مزج حالته النفسية بالمظاهر الطبيعية، أي عكس نفسه على الطبيعة كما زيّنها بالتشخيص المميّز (بصورة المرأة التي تتزين لتبدو جميلة)، ويظهر ذلك من خلال: التشبيه (النور عقد، والغصون سوالف، الجزع زند، والخليج سوار) والاستعارات (رقص القضيب، شرب الندى، صفق التيار) والكناية (سحّاب أذيال الصبي) والجناس العرفي (أحوى، أحور)

3-<u>الأنهار:</u>

وصف شعراء الأندلس الأنهار الكبيرة التي تجري على مدار السنة ومن أشهرها "الوادي الكبير"، إضافة إلى الأنهار الصغيرة، العيون، البرك، والأحواض التي ألهمت الشعراء الأندلس على التفنن في قول الشعر، باعتبار الأندلس تفردت بكثرة أنهارها، وعلى ضفافها تنتشر الحقول، البساتين والمتنزهات مما دفع "ابن خفاجة" يصف سكون هذه الأنهار وجريانها وانصبابها وفي هذا يقول:

لله نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْحَـــاء أَشْهَى ورُودًا مِنْ لَمَى الحَسْنَـاءِ

مُتَعَطِّفٌ مثْلَ السِّوَار كَأَنَّــهُ والزَّهْرُ يَكْنُفُهُ مَجَرَّ سَمَـــــــاءِ

قَدْ رَقَّ حَتَّى ظُنَّ قَوْسًا مُفْرَغا مِنْ فضَّة فِي بُرْدَة خَضْـــــــرَاءِ

وَغَدَتْ تَحُفُّ به الغُضُونُ كَأَنَّهَــا هُدَبٌ تَحَفُّ بمُقْلَة زَرْقَـــــــــاءِ. [4]

نلاحظ في هذه الأبيات أن "ابن خفاجة" سحر بجمال هذا النهر الذي تحيط به كل أنواع الزهور والاخضرار الذي يضيف له رونقًا جماليًا رائعًا.

إذ شبه النهر بالسّوار (العقد) الذي يتربع على عنق المرأة ليضفي لها جمالاً، وكذلك النهر بمثابة إسوارة للطبيعة الذي يعطي لها سحرًا ورونقًا لا مثيل له وهو تشبيه بليغ.

ويقول أيضًا:

نَهْرٌ مَا سَاغَ اللَّمى سَلْسَالُ وَصَبًا بَليلٌ ذَيْلُهَا مِكْسَـــــالٌ

وَمَهَبُّ نَفْحَة رَوْضَة مَطْلُولَةٍ فِي جَلْهَتَيها للنَّسيم مَجـــــالُ

غَازَلْتُهُ وَالأُقْحُوَانَةُ مَبْســـمٌ والآسُ صُدْغٌ والبَنَفْسَجُ خَالُ. [5]

نستنتج من خلال هذه الأبيات أن "ابن خفاجة" رسم لنا صورة فائقة الجمال إذ وصف النهر وتموجه و المنظر المبهر الذي أحاط به، إذ شبه النهر بالسلسال.

4-<u>الثلجيات:</u>

كما تحدث أيضًا "ابن خفاجة" الملقب بـ"جنان الأندلس" أي البستاني، عن شعر الثلجيات بل كان أول من تطرق إلى هذا النوع من الشعر ويقول في بائيته:

أَلاَ قَلَصَّتْ ذْيلَها لَيْلَـــــةٌ تَحُرُّ الرَّبَابَ بِهِ هَيْدَبَـــــــا

[4])- ديوان ابن خفاجة ، ص 356

[5])- المصدر نفسه، ص 119

وَقَدْ بَرْقَعَ الثَّلْجُ وَجهَ الثَرى وَأَلْحَفَ غُصْنَ النَّقى فاحْتَبى

فَشَابتْ وَرَاءَ قِنَاعِ الظَّلَــامِ نَوَاصِى الْغُصُونِ وَهَامُ الرُّبَى

فَمَهْما تَيمَمْتُ خَمَـــــارةٌ رَكبْتُ إلى أشْقَرِ أَشْهَبَـــــا

وَحَيَّيْتُ حَانتَهَا طارِقَـــا فَقَالَتْ تُجِيبُ أَلاَ مَرْحَبـــــا. (6)

نستخلص من هذه الأبيات إعجاب الشاعر (ابن خفاجة)، بمنظر الطبيعة المكسوة بالثلوج، والتي شبهها باللحاف الأبيض الذي تلبسه المرأة.

5-الجبال:

من المناظر الطبيعية التي عالجها ابن خفاجة وصورها لنا بطريقة راقية ، نجد وصف الجبل الذي يمثل الارتفاع والاعتراض بحيث يقول:

وَأَرْ عَنَ طَمَّاح الذُّؤَابَةِ بَاذِخ يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّماءِ بِغَـــــاربِ

يَسُدُّ مَهَبَّ الرِّيحِ عَنْ وِجْهَةِ وَيَزْحَمُ لَيْلاً شُهْبَهُ بالمَنَـــــــاكِب

وَقُور عَلَى ظَهْرِ الْفَلاَةِ كَأَنَّهُ طِوالَ اللَّيالِى مُطْرِقٌ فِى الْعَوَاقِبِ. (7)

نلاحظ في هذه الأبيات أن "ابن خفاجة" وظف في وصفه ألفاظًا مناسبة جدًا لمعانيها، فأسلوبه في الوصف راق ومؤثر، فمن عباراته هذه نرى بروز هذا الجبل وعلو قمته كذلك الغيوم التي أحاطت به. ويقول في موضع آخر:

وَقَالَ ألاَ كَمْ كُنْتُ مَلْجــأَ فَاتِكٍ وَمَوْطِنَ أَوَّاهٍ تَبَتَّلَ تَائـــــــبِ

---

[6])- ديوان ابن خفاجة: ص 262

[7])- المصدر نفسه، ص 216

وَكَمْ مَرَّ بِى مِنْ مُدْلِجٍ ومُؤَوِّب وَقَالَ بِظِلِّى مِنْ مَطِىٍّ وَرَاكِـــبِ

وَلاَطَمَ مِنْ نُكَبِ الرِّياحِ مَعَاطِفِى وَزَاحَمَ مِنْ خُضْرِ الْبِحارِ جَوَانِبِ. [8]

نستنتج من هذه الأبيات أن "الصنوبري"(ابن خفاجة) شخص هذا الجبل أي كأنّه إنسان يتحدث، هذا ما جعل عنصر الخيال يظهر لأنه استعمل خيالاً واسعاً، وعاطفته الجياشة التي أضافت إلى هذا الوصف قدرًا كبيرًا من الجمال.

"هنا يبدوا التوحد بين الجبل والإنسان في أكمل صوره، فترى شكوى الجبل وهمومه صورة أخرى من شكوى الشاعر و همومه ، وتتحقق "المشاكلة" بين الذات و الموضوع فيتلاشى كلاهما في الآخر، وإذا بابن خفاجة هو هذا الجبل الذي سئم الحياة وملَّ البقاء بعد أن رأى أصحابه ورفاقه ومواكب البشر على اختلاف مشاربهم وطبائعهم يرحلون بلا عودة." [9]

نستنتج مما سبق ذكره أن "ابن خفاجة" اعتبر هذا الجبل بمثابة صديق، فهو خير أنيس له إذ خلع عليه أحاسيسه وعواصفه، وامتزج به امتزاجًا تامًا.

[8])- ديوان ابن خفاجة، ص 216

[9])- فوزى سعد عيسى، دراسات في أدب المغرب والأندلس، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص103.

المبحث الثاني: وصف المدينة والعمران

1- المدينة

2- بلدته

المبحث الثاني: وصف المدينة والعمران

1-المدينة:

تعلق الشاعر "ابن خفاجة" بالأندلس تعلقًا كبيرًا، وتأثر بكل ما يحيط به ووصفه أحسن وصف بحيث أن القارئ لديوانه يمكنه أن يتمثّل في مخيلته تلك المناظر التي وصفها.ومن أهم الأماكن التي برع في وصفها في شعره "المدينة"، و بالخصوص وصف "الدار" وفي ذلك يقول:

وَقَوْرَاءْ بَيْضَاءِ المَحَاسِنِ طَلْقَة لَبِسْتُ بِهَا اللَّيْلَ الْبَهيمَ نهَارَا

يَزُرُّ عَلَيْهَا الصُّبْحُ جَيْبَ قَميصِهِ وقد لَبِسَ الْجَوُّ الظَّلاَمَ صِدَارَا

هَزَزْتُ لأَغْصَانِ القُدودِ مَعَاطِفًا بِها ولرُمَّانِ النُّهودِ ثِمَارَا. [1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن "ابن خفاجة" يتغزل بالدار الجديدة، ويتمثلها في صورة امرأة بثوب أبيض ناصع لدرجة أن بياض هذا الثوب يحول الليل إلى نهار.

2.1- بلدته:

تعلق الشاعر ببلدته "شقر" وهي إحدى أقاليم الأندلس، وقد امتازت بطبيعة خلابة وساحرة تسر الناظرين، استغل "ابن خفاجة" الطبيعة التي ترعرع و عاش فيها، ويظهر ذلك في مواضع كثيرة من شعره، منها:

وحَنَّ إلى شُقْر فَخَفَّ على السُّرى يَخوضُ خليجًا أو يَجُوب كثيـــبا

يَؤمُّ بِها أرضًا عليَّ كريمـــــــــةً ومُرتبعا فيها إليَّ حبيبـــــا

[1])- ديوان ابن خفاجة، ص 223

ونهرًا كما أبيض المُقبّل سَلْسَـــــلاً وجِزْعا كما اخضرَّ العِذَار خضِيبا [2]

استخدم "ابن خفاجة" ألفاظًا (كريمة، نهرًا، أبيض، سلسلا، اخضر.) تجعل السامع ينجذب معه نحو سحر بلدته وجمالها

وقال عن جزيرته "**شُقْر**":

بينَ شُقْر وملتقى نهريها حيث ألقيت بنا الآماني عصاها

ويغنى المكاء في شاطئيها يستخف النُّهى فَحَلتْ جُباها [3]

نلمس في هذه الأبيات تشوّق الشاعر "ابن خفاجة" إلى بلدته "**شقْر**"، حيث استرجع ذكرياته التي عاشها بها فذكر نهرها وشاطئها.

وقال يصف حال بَلَنْسِيَةَ، بعد أن أحرقها النصارى عند خروجهم منها، سنة خمس وتسعين وأربع مائة:

عَاثَتْ بسَاحَتِكِ الْعِدَىْ يَا دَارُ ومَحَا مَحَاسِنَكِ الْبِلَى والنَّارُ

وإذَا تَرَدَّدَ في جَنَابِكِ نَاظِرُ طَالَ اعْتِبارُ فِيكِ واسْتِعْبَارُ

أَرْض تَقَاذَفَتِ الخُطُوبَ بأهلها وتَمَخَّضَتْ بِخَرَابِهَا الأَقْدارُ

كَتَبَتْ يَدُ الحَدَثَانِ فِي عَرَصَاتِهَا لا أَنْتِ أَنْتِ ولاَ الدِّيَارُ دِيارُ. [4]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن "ابن خفاجة" يتحسرُ على حال "بلنسية" التي دّمرها العدو

---

[2])- ديوان ابن خفاجة، ص 112

[3])- المصدر نفسه، ص 203

[4])-المصدر نفسه، ص 354

المبحث الثالث:

المكان الواقعي والمكان المتخيل

1-المكان الواقعي:

المكان الواقعي الذي يتواجد فيه الشاعر يشعره، بالنفور ما يبعث في نفسيته القلق والاضطراب، هذا ما لاحظناه في هذه الأبيات التي يقول فيها:

فيا لَشَجَا صدر منَ الصّبرِ فَارغ ويا لقذى طرف من الدّمع ملآنِ

ونفس إلى جو الكنيسة صبّــةِ وقلبٍ إلى أُفقِ الجزيرة حنّـــانِ

تعوضت من واهًا بِآهٍ ومن هوى بهونِ ومن إخوانِ صدق بخوّانِ

وما كل بيضاء تروق بشحمةِ ولا كلُّ مرعى ترتعيه بِسَعْـــدانِ. [1]

نستنتج من خلال هذه الأبيات أن نفس الشاعر تبدو وكأنها لا تتقبل المكان الجديد، فهو يبدو غريبًا عليه بكل ما يحويه، فهو لا يشبه المكان الذي تعود عليه.

آهٍ من غربة ترقرقُ بِنَّـــــا آهٍ من رِحلةٍ تطول نواهَـــا

آهٍ منْ فرقَةٍ منْ غير تـــــلاقٍ آهٍ منْ دار لا يُجيبُ صداهَا

لستُ أدري ومَدْمَعُ المُزْنِ رطبُ أبَكَاهَا صَبابة أم سقاهـــــا

فتعالي يا عين نبكي عليهـــا من حياة إن كان يُغنِي بُكَاها. [2]

نستنتج من هذه الأبيات أن الشاعر كرر كلمة "آه" التي تعكسُ نفسيته المتوجعة لمفارقته للمكان المعتاد و الأليف.

---

[1])- ديوان ابن خفاجة، ص 345

[2])- المصدر نفسه، ص 365

2-المكان المتخيل:

لمّا يجد الشاعر نفسه عاجزة عن تحقق رغباتها في الواقع، يلجأ إلى الخيال وهذا ما يعكسه الخطاب الشعري لابن خفاجة في قوله:

كأن لم يصلني فيه ظبْيُ يقوم لي لماه وصدغاه براحٍ وريحانِ

فسقيا لواديهم وإن كنت إنّمـــــا أبيت لذكراه بغلّة ظمـــــــآن

فكم يوم لهوٍ قدْ أدرنا بأُفْقِـــــه نجُوم كُأُسِ بيْنَ أقمارِ ندْمانِ. [3]

إنّ عجز "ابن خفاجة" عن التواجد في المكان المرغوب جعله يتخيل ويحلم ويصل إلى مبتغاه، إذ يكون في المكان الواقعي في حالة عاطفية سيئة، بينما تغمره السعادة بمجرد أن يَلِجَ عالم الحلم والخيال.

[3])- ديوان ابن خفاجة، ص 345

المبحث الرابع:

الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة

المبحث الرابع:

1-الأماكن المفتوحة:

الأماكن المفتوحة هي كل المساحات و المناطق المفتوحة، عادة ما تكون رقع خضراء واسعة شاسعة بما فيها من (مروج، أشجار وأزهار) بحيث كانت هذه المناطق بمثابة المنهل الذي يستقي منه الشعراء الأندلسيون أشعارهم، خاصة "ابن خفاجة" الذي أبدع في وصف الطبيعة و كل ما تحتويه الأماكن المفتوحة.

ساعد جمال الطبيعة في الأندلس على ازدهار شعرها فقد صورها "ابن خفاجة" كما أبدعها الله في الحقول، الرياض و الأنهار، كلها أماكن مفتوحة، أبهرت كل من شاهدها. فقد جاء تعبيره عنها بصور تفوحُ بالعطر و الأزاهير، باعتبارها المنبع الذي استمد منه شاعريته.

نجد من الأماكن المفتوحة التي تناولها "ابن خفاجة":

1.1الحديقة:

خص "ابن خفاجة" في ديوانه بقدر كبير من الأبيات يصفُ فيها الأماكن المفتوحة، فتحدث عن الحدائق وجمالها وما فيها من أشجار وأزهار وثمار مختلفة الألوان، كما وصف فيها الجانب المشرق والجميل. وفي هذا يقول:

غَازَلْتُهُ وَالأُقْحُوَانَةُ مَبْسِمٌ وَالآ سُ صُدْغٌ والبَنَفْسَجُ خَالُ. [1]

[1])- ديوان ابن خفاجة، ص 119

عمد "ابن خفاجة" إلى تصوير أماكن مفتوحة بما فيها الأزهار و الثمار، بحيث تزخر الحدائق التي وصفها بجمال فاتن دفعه إلى وصف كل منظر مفتح يسر مشاهده، فكلما قرأنا لهذا الشاعر نجد أنه يرسم لنا لوحات جميلة، لتلك المناظر الخلابة المنفتحة.

ويقول "ابن خفاجة" في وصف شجرة منورة:

يَا رُبَّ مَائِسَة الْمعَاطِفِ تزْدَهى مِنْ كلِّ غُصْن خَافِق بِوشَاج

مُهْتزّة يَرْتَجُّ مِنْ أعطافهـــــــا مَا شِئْتَ مِنْ كَفَل يَمُوجُ رَدَاج. [2]

2.1- البحر:

ومن المناظر المفتوحة التي لم يغفل عن وصفها أيضًا "ابن خفاجة الأندلسي" نجد "البحر"، ويقول في وصف هذا الأخير:

وَلُجَّة تَفْرَقُ أَوْ تَعْشَقُ فَمَا تَنِي أحْشَاؤُهَا تَخْفِقُ

شَارَفْتُها وهْى بِمَا هَاجَهَا مِنَ الصَّبَا مُزْبدَةُ تَقْلَقُ

فَخِلْتُني في شَطَّهَا فَارِسًا قُرِّب مِنْهُ فَرَسُ أبْلَقُ. [3]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن "ابن خفاجة" شبه البحر(لجّة:كثرة الماء) بالإنسان الذي يعشقُ فذكر المشبه "البحر" ووجه الشبه "يعشقُ" و حذف المشبه به "الإنسان" على سبيل استعارة مكنية.

---

[2])- ديوان ابن خفاجة، ص 281

[3])- المصدر نفسه، ص 137

3,1- الزهريات:

من الأماكن المفتوحة التي ورد ذكرها أيضًا في ديوان "ابن خفاجة" وعمد إلى وصفها أيّما وصف وإبداع، نجد وصفه لأزهار بحيث صورها لنا في لوحات جذابة، حيث يقول:

وخيرية بين النسيم وبينهـــــا حديث إذا جنّ الظلام يطيبُ

لها نفسٌ يسري مع الليل عاطر كأن له سرّا هناك يريـــب. [4]

رسم لنا "ابن خفاجة" في هذه الأبيات صورة زهرة الخيري التي لها منظر ناعم وعطر فواح، إذ حدث بين هذه الزهرة وبين الليل حوار غزلي.

2-الأماكن المغلقة:

الأماكن المغلقة هي كل الأماكن المحصورة والمحدودة بحيز هندسي، تتميز بالانغلاق والانعزال عن العالم الخارجي، ونذكر على سبيل المثال: "البيت"

ورد في ديوان "ابن خفاجة" وصف للمكان المغلق ألا وهو دار سكناه بقوله:

بِدَار سَقَتْهَا دِيمةُ إثْرَ دِيمَـــــــــــةٍ فَمَالتْ بِها الجدْرانُ سَطْرَ على سَطْـرِ

فَمَنْ عَارِض يَسْقي ومنْ سقفِ مَجْلسٍ يُغَنَّى و منْ بيْتٍ يَميلُ منَ السُكْـــــــرِ

إذا مَا وَهَى ركْنُ فأَهْوَى فَإنَنـــــــــي لأَشْجى منَ الخَنْسَاءِ تَبْكي على صَخْـرِ. [5]

في هذه الأبيات يصف الشاعر "ابن خفاجة" داره التي يسكنها فوصف فيها جدرانها والسقف بل وصف كل ركن من أركانه.

---

[4])- ديوان ابن خفاجة، ص 82

[5])- المصدر نفسه، ص 308

الفصل الثانـي:

أبعاد المكان ودلالاته في شعر ابن خفاجة

- المبحث الأول: البعد النفسي
- المبحث الثاني: البعدان التاريخي والفكري
- المبحث الثالث: التصوير البياني للمكان

المبحث الأول:

البعد النفسي للمكان

أنّ معظم الشعراء اتخذوا من المكان وعاء يصبون فيه أحاسيسهم وعواطفهم فيها، فلجأوا إلى أماكن عاشوا فيها يحملون فيها ذكريات كثيرة، وكأنّها أعشاش طفولتهم.

في حين قد يكون هذا المكان مسكون في خيالهم وهذا راجع لعدم تحققه في الواقع.

"ابن خفاجة" من أحد الشعراء الذين وظفوا المكان في نتاجه الأدبي (الشعر)، وأضفى عليه دلالات نفسية مختلفة و كثيرة، باعتبار "ابن خفاجة" مفتون بجمال الأندلس، والمناظر الطبيعة الخلابة التي تزخر بها بلدته، جزيرته.

والقارئ لديوان "ابن خفاجة" سيلاحظ أنه قد مرَّ بمرحلتين نفسيتين:

« **الأولى**: مرحلة إدراك الشاعر للعالم المحيط به.

الثانية: مرحلة إبراز هذا المُدرك لأعُينٍ أخرى غير عينه، وذلك في الأثر الفني أو الشعري، فهو في المرحلة الأولى مشاهد، وفي الثانية مُعبّر.»[1]

حين وظف "ابن خفاجة" في أشعاره المكان وظف فيها رموز وإيحاءات ودلالات ربطها بحالته النفسية، هذا ما نجده في قوله:

وَأَرْ عَنَ طَمَّاحِ الذُّؤَابَةِ بَاذِخٍ يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّماءِ بِغَـــــاربِ

يَسُدُّ مَهَبَّ الرِّيحِ عَنْ وِجْهَةِ وَيَزْحَمُ لَيْلاً شُهْبَهُ بالمَنَاكِـــــــبِ

[1])– زاهر بن بدر الغُسيني، علاقة اللون بالصورة الشعرية في شعر ابن خفاجة الأندلسي، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، ص116

وَقُور عَلَى ظَهْرِ الْفَلاَةِ كَأَنَّهُ طِوالَ اللَّيالِى مُطْرِقٌ فِى الْعَوَاقِبِ. [2]

عمل "ابن خفاجة" على إضفاء الحياة على كل ما هو جماد، أعظم مثال استنطاق لهذا الجبل وتخيله إنسان الذي أخذ يحكي ويسرد قصص من مرّ به من البشر.

إذ نجد الشاعر في هذه الأبيات شبه الجبل برجل يعانق السماء بشموخه، فذكر المشبه (الجبل) وحذف المشبه به (الرجل) على سبيل استعارة مكنية. فهي صورة تشخيصية.

« **فقد أثار الجبل كوامنه، ورأى فيه صورة من ذاته، فاتخذه صديقًا يؤنس وحدته بعد أن عزّ عليه الأنيس والجار. ولم يكتف بذلك بل خلع عليه أحاسيسه وعواطفه، وامتزج به امتزاجًا تامًا، فمنحه صفاته الخِلقية والخُلقية.** »[3]

ونستنتج من خلال هذه الأبيات أن نفسية الشاعر تبدو حزينة و كئيبة ، إذ حمل على عاتقه هموم جمة بقدر ما يحمل الجبل من تراب.

ويقول في نفس الصدد:

فَحتّى متَى أبْقى ويظعن صاحبٌ أودَّعُ منهُ راحـلاً غيرَ أيـــــبِ

وحتّى متى أرعى الكواكبَ ساهرًا فمنْ طالع أُخرى اللَّيالي وغاربِ. [4]

نرى في هذه الأبيات أن الشاعر غير قادر على استيعاب حقيقة الموت والفناء، بحيث يرى الأحبة يرحلون دون عودة على خلاف نفسيته التي باتت صامدة كصمود الجبل، وهذه الوحدة التي تواجد فيها تزاد في ذعره وشدة خوفه.

---

[2])- ديوان ابن خفاجة، ص 216

[3])- فوزى سعد عيسى، دراسات في أدب المغرب والأندلس،ص102

[4])- ديوان ابن خفاجة، ص 216

« فكان ابن خفاجة و ذلك الجبل الذي تململ من طول البقاء وهو يشاهد مواكب الإنسان الإنسانية ترحل أمامه موكبًا إثر موكب إلى غير رجعة، ولذلك فالقصيدة تمنحنا نفحة جديدة للشعر الأندلسي هي هذه المشاركة في العواطف التي يشعر بها التأمل لسحر الطبيعة، كما استطاع ابن خفاجة في هذه القصيدة أن يناجي الطبيعة على نسقٍ جديد لم يعهده الشعر العربي القديم، فأشرك النفس الإنسانية بسرِّ الطبيعة، وأدرك ما يُسمى عنده الفرنجة "بحس الطبيعة".»[5]

من الملاحظ أن نفسية الشاعر تبدو متعبة ومرهقة، باعتباره وظف عبارات توحي إلى ما بداخله من حزن وألم "**يطعن صاحبُ، أُودعُ، راحلاً.**" فاتخذ من الجبل أنيسًا فصبَّ عليه همومه.

كما وصف "ابن خفاجة" الروض في ديوانه بل أكثر وتفنن أيّما تفنن في هذا المجال، إذ نجده يقول:

يَا هِزَّةَ الغُصْنِ الْوَرِيقْ وبَشَاشَةَ الرَّوْضِ الأنيقْ

أَأَتَتْكُمَا بشرى بِسُقْيَا أم سَلاَمُ مِنْ صَدِيـــــقْ

فَهَزَزْتُ مِنْ عِطْف ند وسَفَرْتَ عَنْ وَجْه طَلِيقْ. [6]

تميز أسلوب "ابن خفاجة" بالرقة و الميل إلى وصفه للمناظر الطبيعية وانطلاقًا من حبه لبلاد الأندلس، إذ نلتمس أثناء وصفه لهذه الأماكن أنه أسكب روحه ومشاعره وعواطفه.

---

[5])- فوزى سعد عيسى، دراسات في أدب المغرب والأندلس،ص105

[6])- ديوان ابن خفاجة،ص 42

كما عكست هذه الأبيات نفسية الشاعر الميَّالةِ إلى حب الطبيعة و الحياة و التفاعل معها فهي مناظر ملكت إحساسه ووجدانه، إذ وظف ألفاظًا عكست ما يجول في خاطره والتي توحي إلى الفرح والسعادة والارتياح منها: "بشاشة، الروض، سلام." فهو عاش في رحابها وأحس بجمالها الفتان فعمد على مزج روحه بروحها

ويقول "ابن خفاجة" في وصفه لنهر:

لله نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْحَـــاء أَشْهَى ورُودًا مِنْ لَمَى الحَسْنَـــاءِ

مُتَعَطِّفٌ مِثْلَ السِّوَار كَأَنَّـــهُ والزَّهْرُ يَكْنُفُهُ مَجَرَّ سَمَـــاءِ

قَدْ رَقَّ حَتَّى ظُنَّ قَوْسًا مُفْرَغا منْ فضَّة فِي بُرْدَةٍ خَضْـرَاءِ

وَغَدَتْ تَحُفُّ بِهِ الغُصُونُ كَأَنَّهَـــا هُدَبٌ تَحَفُّ بِمُقْلَةِ زَرْقَاءِ. [7]

رسم الشاعر في هذه الأبيات لوحة فنية جميلة أنيقة للنهر، عبر فيها عن أشجانه وما في داخله من مشاعر، وكأنه يتغزل بمحبوبته إذ شبهه بالحسناء والسوار.

[7])- ديوان ابن خفاجة، ص 356

يعتبر المكان عنصرًا هامًا في التجربة الشعرية، فهو بمثابة الركيزة التي يستند إليها الشاعر، وهو عنصر أساس في بناء العمل الأدبي ويعطيه جمالاً وقيمة فنية معتبرة، فالمكان بصفة عامة يحفر الشاعر و يمنح له مجالاً و قدرًا كبيرًا في التعبير عما يجول بخاطره وأحاسيسه، عواطفه، أشجانه ومعاناته، فهو يستعين في ذلك كل ما يحيط به من أمكنة ومناظر طبيعية، عبر عنها الشعراء بلغة شعرية راقية و جمال اللفظ ، وأسلوب سلس وصافي.

يكتسب المكان في النص الشعري حيويته من طريقين:الأول يتمثل بتجربة الشاعر ورؤيته للمكان من خلال التذكر و يداعى الأفكار والمشاعر، أما الآخر فهو التوظيف الشعري الذي يتمثل بشبكة العلاقات القائمة بين الألفاظ والتي تعطي لنّص دلالاته وإيحاءاته فـ ((ليست الألفاظ في بساطتها التي يسبغها الشاعر عليها هي التي تحدد قيمتها.)) [1]

المبحث الأول:

1- البعد النفسي للمكان:

للمكان أبعاد نفسية في الذّات الإنسانية تؤثر عليه سلبا أو ايجابيا،إذ يقترب هذا المكان بطبيعة المشاعر و الأحاسيس التي يحملها الشاعر في ذاته، فهو مرآة عاكسة لمشاعره إذ نجد

[1])- حازم حسن سعدون: تجليات المكان في شعر السَّريِّ الرَّفَّاء، ص153.

المبحث الثاني:

البعد التاريخي والفكري

المبحث الثاني:

1-البعد التاريخي:

عاش "ابن خفاجة" بين عصرين مختلفين من عصور الأندلس التاريخية: عصر ملوك الطوائف، وعصر المرابطين، وقد حفل هذان العهدان بكثير من الأحداث التي تعاقبت على الأندلس عامة، ومنطقة بلنسية في شرقي الأندلس خاصة.

«الأندلس أو إيبيريا، شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من أروبا. وتتصل برًا بأوروبا من الجهة الشمالية، ويفصلها عن فرنسا سلسلة جبل البرت "البانس" أما الجهات الأخرى فتحيط بها المياه، فيحدها المحيط الأطلسي من الجهة الغربية (بحر الظلمات) وأما من الشرق البحر المتوسط (بحرالروم)، ومن الجنوب مضيق جبل طارق، وترتفع في وسط الأندلس وشمالها هضبة أطلق عليها المسلمون (جبل الشارات) التي ينبع منها العديد من الأنهار التي تخترق بلاد الأندلس. »[1]

و يقول "ابن خفاجة" عن هذه الأخيرة (بلنسية) يصف حالتها بعد أن أحرقها النصارى عند خروجهم منها، سنة خمس وتسعين وأربع مائة:

عَاثَتْ بسَاحَتِكِ الْعِدَىْ يَا دَارُ ومَحَا مَحَاسِنَكِ الْبِلَى والنَّارُ

وإِذَا تَرَدَّدَ في جَنَابِكِ نَاظِرُ طَالَ اعْتِبارُ فِيكِ واسْتِعْبَارُ

أَرْض تَقَاذَفَتِ الخُطُوبَ بأهلها وتَمَخَّضَتْ بِخَرَابِهَا الأَقْدارُ

[1])- يوسف عطا الطريفي، المغرب والأندلس، ط1، الأهليةللنشر و التوزيع، الأردن، 2007، ص 8.

كَتَبَتْ يَدُ الحَدَثَانِ فِي عَرَصَاتِهَا لا أَنْتِ أَنْتِ ولاَ الدِّيَارُ دِيارُ. [2]

وصف "ابن خفاجة" الحالة التي آلت إليها "بلنسية"، بعد أن دمرها النصارى وأحرقها وشوه صورتها ومناظرها، فهذا العدو اللّذوذ تعمد تشويه هيئتها، منطقة "بلنيسة" لم تعد كما كانت، بحيث شهدت هذه الأخيرة أحداث تاريخية مريرة تسببت في هجرة معظم ساكانها من بينهم "ابن خفاجة" الذي هجر إلى المغرب.

كما نجد أن "ابن خفاجة" وظف ألفاظ موحية إلى البعد التاريخي وهي:" ساحتك، العدى، البلى، النار، وخربها".

ويقول أيضًا في نفس المعنى:

فَغَادرَ الطَعْنُ أجْفَانَ الجِرَاحِ به رُمْدًا صَيَّرَ أَطْرَافَ الْقَنى مُقَـــــلاَ

وأشْرقَ الدَّمُ فِي خَدَّ الثَّرَى خَجَلاً وأَظْلَمَ النَّقْعُ فِي جَفْنِ الوَغَى كَحَلاَ

وأَقْشَعَ الكُفْرُ قَسْرًا عَنْ بَلَنْسيةٍ فَانْجَاب عَنْهَا حِجَابُ كَانَ منْسدلاَ

وطَهرَ السَّيْفُ منْهَا بَلْدَةً جُنُبًا لَمْ يَجْزِهَا غَيْرُ مَاءِ السَّيْفَ مُغْتَسَلاَ. [3]

وصف لنا الشاعر في هذه الأبيات ساحة القتال (الوغَى)، بما فيها من جراح وسيلان الدم وبحيث صور لنا الكفاح المسلح الذي أزال عن "بلنسية" الحجاب الذي كان منسدلاً، بذلك طهروا بلدة "بلنسية".

---

[2])- ديوان ابن خفاجة، ص 354

[3])- المصدر نفسه، ص 208- 209.

ومن الإيحاءات و الرموز التي توحي إلى الجانب التاريخي نجد:" الجراح، سيلان الدم، الوغى وغيرها من العبارات التي تنصب في البعد التاريخي.

وقال يصف حالة "بلَنْسِيَةَ" وقد تناجت النفوس باسترجاعها من يد العدو:

آلْآنَ سَّحَ غَمَامُ النَّصْرِ فَانْهَمَلاَ وقَامَ صَغْوُ عَمُودِ الدِّينِ فاعْتَدَلاَ

ولاَحَ لِلسَّعْدِ نَجْمُ قَدْ خَوَى فَهَوَى وكَرَّ لِلنَّصرِ عَصْرُ قَدْ مَضَى فَخَلاَ

وَثَارَ يَطْلُعُ نَقْعُ الْجَيْشِ مُعْتَكِرًا بِحَيْثُ يَطْلُعُ وَجْهَ الْفَتْحِ مُقْتبِلاَ

مِنْ عسْكَرٍ رَجَفَتْ أَرْضُ العَدُوِّ بِهِ حتى كأنَّ بها مِنْ وَطْئِهِ وَهَلاَ

مَا بَيْنَ ريحِ طِرَادٍ سُمِّيَتْ فَرَسًا جَوْرًا ولَيْثَ شرى يَدْعُونَهُ بطَلاَ. [4]

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن النصر الذي حققه سكان "بلنسية" بفضل الكفاح والمثابرة حتى كللت بنتائج إيجابية وهي استقلال بلدتهم من أيدي النصارى.

2-<u>البعد الفكري:</u>

لمَّا اشتد الصراع في بلاد الأندلس لم يلقى الجانب الفكري عناية فقد انشغلوا عنه، ولم يعيروا له أهمية بالغة، لكن بمجرد أن استقرت الأوضاع في شتى الميادين ظهرت حركية واسعة لهذا الجانب الفكري.

« لم يكن للفترة الأولى شأن في الأدب أو الشعر أو حتى العلم أو أي أثر على أهل الأندلس، لأنها كانت فترة غزو وفتوحات وصراعات سياسية، ولكن عندما استقرت

[4])- ديوان ابن خفاجة، ص 208

الأحوال في قرطبة تغيّر شأن الحياة، وبدأت عيون الآداب والعلوم والشعر تتفجر، فقد بدأ بعلوم الدين ثم تبعه الاهتمام بالعلوم الأخرى. »[5]

بعد أن عادت المياه إلى مجاريها، أولى الأندلسيين عناية خاصة باللغة وعلومها وآدابها، إضافة إلى الفقه، علوم الشريعة وبالإضافة إلى قدوم علماء من المشرق فعملوا على نقل آدابهم وعلومهم.

عبر "ابن خفاجة" عن الجانب الفكري بحيث يقول:

عِشْ طَالِبًا أوْ عَليمًا فالجَهْلُ عَيْنَ المُحَطَّهْ

ولاَ يَصُـــــدُّكَ يَأْسٌ عَنْ نَيْلِ أشْرَفَ خُطَّهْ

فَمَبْدَأُ النَّارِ سِقْـطٌ وَأَوَّلُ الَخطِّ نُقْطَـــهْ. [6]

في هذه الأبيات يحُثُنا "ابن خفاجة" على التحلّي بالعلم والنضال من أجل الحصول عليه، مهما واجهتنا من صعاب فلا نستسلم، و لأن لكل بداية نهاية.

[5])- يوسف عطا الطريفي، المغرب والأندلس، ص21.

[6])- ديوان ابن خفاجة، ص 362

المبحث الثالث:

البعد الفني الجمالي

المبحث الثالث:

1- البعد الفني الجمالي:

الأندلس جنة كما وصفها شعرائها، حيث منحها الله طبيعة جميلة تبهر شاهديها، هذا ما ألّهم قريحة الشعراء و أيقظ لديهم حسهم الشعري المرهف، وأثار ملكات الشعراء فصورا بلادهم والحدائق والأزاهير والثمار، ووصفوا محاسنها بحيث برعوا في تصويرهم بما لهم من عنصر التخيل الذي بنيت عليه أشعارهم. فأبدعوا صورًا بلاغية كشفت حسهم الفني المرهف، ومن تلك الصور:

1/- الصور البيانية:

1,1- التشبيه:

« هو عقد مقارنة بين طرفين أو شيئين يشتركان في صفة واحدة. " هو صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مجرد) بشيء آخر (حسي أو مجرد) لاشتراكهما في صفة (حسية أو مجردة) أو أكثر وله أربعة أركان، اثنان هما طرفا التشبيه:

أ_ المشبه: وهو ما يراد وصفه أو تقريبه عن طريق الشبه.

ب_ المشبه به: و هو ما به قرن المشبه في الكلام.

ج _ أداة الشبه: الحرف الدال على التشبيه.

د _ وجه الشبه: و هو الصفة المشتركة بين المشبه و المشبه به. » ([1])

[1] – ينظر: الأزهر الزناد:دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز العربي الثقافي، بيروت، ط1، 1992، ص15

وقد وظف "ابن خفاجة" التشبيهات في ديوانه و نذكر منها:

وَالنَّورُ عِقْدٌ وَالْغُصُونُ سَوَالِـفٌ وَالْجزْعُ زَنْدٌ وَالْخَلِيجُ سِـــــوَارُ. [2]

استخدم "ابن خفاجة" في هذا البيت صورة تشبيهية جميلة وبليغة، حين ربط الطبيعة بالمرأة، فجعل النور الذي يأتي من بريق أوراق الشجر كبريق العقد الذي تتزين به المرأة، أما الغصون فشبهها بكثافة شعرها (شعر المرأة).

ونلاحظ من خلال هذا البيت أن الشاعر قد ذكر كل المشبهات (النور، الغصون، الجزع، الخليج) و المشبهات بها (العقد، سوالف، زند، سوار) ولم يذكر الأداة ووجه الشبه إذن هو "**تشبيه بليغ**" ويكمن سرّ جماله في التساوي بين المشبه والمشبه به من أجل تقريب الصورة أكثر إلى ذهن القارئ و تأكيد المعنى أكثر، وهذا ما أضفى جمالاً فنياً في ديوان "ابن خفاجة".

ونجده يقول في قصيدة "**ومعين ماء البشر**":

تهفو به نار القوى كأنها مهما عشا ضيف لسان المعرب. [3]

يظهر لنا من خلال هذا البيت أن كل أركان التشبيه وردت ، حيث شبه (نار القوى) والتي تدل على الضيافة، ووجه الشبه هو (عشا ضيف) أما أداة التشبه فهي بارزة والمتمثلة في (كأنها)، ففي هذا التشبه أراد أن يجسد لنا صورة الكرم التي يتصف بها البدويٌ حين يوقد النار ليلاً ليذهب إليه المسافر من أجل المبيت والأكل.

ويقول ابن خفاجة في قصيدة "**عبق العروس**":

---

[2])- ديوان ابن خفاجة، ص 281

[3])- المصدر نفسه، ص 27

خذها إليك، وإنها لنـــــــــظيرة طرأت عليك قليلة النظراء

حملت، وحتسبك بهجة من نفحة عبق العروس وخجلة العذراء. [4]

شبه الشاعر في هذا المقطع (عبق العروس) وهو المشبه بالرائحة الطبية، حيث حذف المشبه به وهو (المرأة) وشبهها (بعبق العروس) ومنه نستنتج أن هذا النوع من التشبيه يفهم من سياق الكلام فلا توجد مِؤشرات ثابتة تدل عليه وهذا النوع من التشبيه هو تشبيه ضمني.

2.1-الاستعارة:

« هي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه المشبه أو المشبه به "هي أن يأخذ شخص ما شيئًا من شخص آخر، يستعمله مدة ثم يرجعه إليه" فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة، وتنقسم الاستعارة باعتبار حذف أحد الطرفين إلى مكنية وتصريحية.

الاستعارة التصريحية:إذا حذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به.

الاستعارة مكنية: إذا حذف المشبه به وذكر أحد لوازمه. » ([5])

ومن بين الاستعارات التي استخدمها "ابن خفاجة":

وخيرية بين النسيم وبينها حديث إذا جنّ الظلام يطيبُ. [6]

شبه الشاعر في هذا البيت "**زهرة خيرية**" بالإنسان، فذكر المشبه (خيرية) وحذف الشبه به وترك أحد لوازمه (حديث) على سبيل الاستعارة المكنية. مما أضفى جمالا على هذا البيت.

ويقول في قصيدة أخرى أين يصف الشجرة:

---

[4])- ديوان ابن خفاجة، ص 15.

[5])- ينظر: الأزهر الزناد:دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، ص 59.

[6])- ديوان ابن خفاجة، ص 82.

عناء الحف عطفـــــــها والتف في جناباتها النـــــور

فتطلعت في كل موقع لحظة من كل عضن صفحة و غدار. [7]

في هذه الأبيات شبه الشاعر أوراق الأشجار و الزهور بالغطاء، فذكر المشبه (النور) وحذف (الغطاء) و ترك قرينة تدل عليه و هي (الحف) على سبيل الاستعارة المكنية .

ويقول في قصيدة " **لو يباع الدواء** ":

من ليلة للرعد فيها صرخة لا تستطاب , للحيا إيقاع. [8]

جاءت الاستعارة في هذا البيت مكنية فقد شبه الشاعر (الرعد) و كأنه إنسان يصرخ في الليل و حذف المشبه به (الإنسان) و ترك قرينة تدل عليه وهي (صرخة) .

ويقول في قصيدة " **برق الثلج** ":

فمهما تيممت خمارة ركبت إلى أشقر أشهبا. [9]

تظهر في هذا البيت الاستعارة في قوله: " تيممت خمارة "شبه الخمارة بالإنسان المسلم الذي يحضر نفسه للصلاة، فذكر المشبه (الخمارة) و حذف المشبه به (الإنسان المسلم) وترك لازمة تدل عليه وهي (التيمم)، على سبيل الاستعارة المكنية.

و يقول في قصيدة أخرى يصف فيها البحر:

---

[7])- ديوان ابن خفاجة، ص 324.

[8])- المصدر نفسه،ص283.

[9])- المصدر نفسه،ص238.

وَلُجَّةٍ تَفْرَقُ أَوْ تَعْشَقُ فَمَا تَنِي أَحْشَاؤُهَا تَخْفِقُ. [10]

في هذا البيت شبه الشاعر البحر بالإنسان فحذفه وترك قرينه تدل عليه وهي (تعشق) وذكر المشبه (لجّة) على سبيل استعارة مكنية.

ويقول في موضع آخر:

رَقَصَ الْقَضيبُ بهَا وَقَدْ شَرِبَ الثَّرى وَشَدَا الْحَمَامُ وَصَفَّقَ التَّيَّـــــارُ. [11]

أما في هذا البيت فقد شبه الشاعر الغصن (القضيب) بالإنسان، فذكر المشبه (القضيب) وحذف الشبه به وترك قرينتين لتدل عليه وهي (ترقص وشرب) على سبيل استعارة مكنية.

إن السر في بلاغة الاستعارة يكمن في تركيب لفظها الذي ينسينا التشبيه ويحملنا على تخيل صورة جديدة.إن كل هذا يدفعنا إلى القول إن معظم قصائد"ابن خفاجة" لا تكاد تخلو من الاستعارة المكنية، كما تتسم برونق جمالي رائع، وأن الاستعارة زادت من تقريب الفكرة إلى ذهن القارئ.

3.1- الكناية:

لفظ لا يقصد به المعنى الحقيقي، وإنّما معنى ملازما للمعنى الحقيقي: « هي أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة و لكن يجيء إلى معنى

[10])- ديوان ابن خفاجة ، ص 137.

[11])- المصدر نفسه ، ص 281

تاليه وردفه في الوجود فيومىء إليه و يجعله دليلاً عليه» ([12]) فالكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى

و من النماذج الكنانية من قصائد ابن حفاجة ما جاء في قصيدة " **السماء تحسد الارض** "

إلا يا حبذا ضحك الحميا بحانتها و قد عبس السمـاء

وادهم من جياد الماء مهر تنازع جله، ريح رخـــــاء

إذ بدت الكواكب فيه غرق رأيت الأرض تحسدها السمـاء. [13]

من خلال البيت تظهر لنا الكناية في قول الشاعر " ضحك الحميا بحانتها ".

ويقول في قصيدة "**نادى الندام**":

لولا الحياء من المشيب لقبلت تغز الحباب به، وعين النرجس. [14]

في هذا المقطع تظهر الكناية في قوله:" لولا الحياء من المشيب لقبلت تغز الحباب" وهي كناية عن الخمر وفي قوله:"عين النرجس" وهي كناية عن الكأس.

ويقول في قصيدة يصف فيها المتنزه:

وشربتها عذراء تحسب أنها معصورة من وجتني عذراء. [15]

في هذا البيت تظهر الكناية في قوله:"عذراء" وهي كناية عن الخمرة الصافية والنقية الغير الممزوجة.

---

[12] – الأزهر الزناد:دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، ص 82.

[13])– ديوان ابن خفاجة، ص 435.

[14])– المصدر نفسه ، ص 281

[15])– المصدر نفسه ، ص 435.

ويقول في موضع آخر:

قام العناء بها وقد نضج الندى وجه الثرى واستيقظ النور. [16]

جاءت الكناية في هذا البيت في الشطر الثاني "استيقظ النور" وهي كناية عن تفتح الأزهار وعن الربيع.

ويقول في وصف الليل:

وما لدمعي طليقا وأنجم الليل أسري. [17]

أما في هذا المقطع فتتجلى الكناية في قوله:"أنجم الليل أسري" وهي كناية عن طول الليل والسهر وقلة النوم التي يشكو منها الشاعر.

2/- المحسنات البديعية :

تميز ابن خفاجة عن غيره من شعراء عصره، بحيث استخدم محسنات بديعية من طباق، وجناس ومقابلة، مما زاد للديوان جمالاً لا مثيل له.

1.2- الطباق:

الطباق هو:" المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الجمع بين المعنى وضده في لفظتين، نثرًا كان أم شعرًا." [18]

والطباق نوعان: طباق السلب وطباق الإيجاب.

من أمثلة الطباق المتواجد في الديوان نجد قول الشاعر:

---

[16])- ديوان ابن خفاجة ، ص 96.

[17])- المصدر نفسه ، ص51.

[18])- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص244.

تارة تسطو به سيئة تسخن العين، وأخرى حسنة. [19]

يظهر الطباق وفي هذا المثال في (سيئة، حسنة) وهو طباق الإيجاب

ويقول في قصيدة أخرى:

يطالعنا الصباح ببطن حذوى فينكرنا ويعرفنا الظلام. [20]

فالطباق هنا جاء بين (ينكرنا و يعرفنا) وهو طباق تام .

ويقول في موضع آخر:

لأجمع بين الماء والنار لوعة فمن مقبلة ريا من كبد حرى. [21]

جاء الطباق في هذا المقطع بين (الماء والنار) وهو طباق تام .

ويوحشن ناع الليل ناعب فأزجر منه بارحا ليس يبرح. [22]

ورد الطباق في هذا المقطع بين(بارحا ليس مبرحا) وهو طباق السلب.

ونجد قوله كذلك:

وأخ لود لا أخ لولادة وأمس من نسب الولاد وداد. [23]

يظهر الطباق في هذا البيت بين (أخ، لا أخ) وهو طباق السلب

ويقول أيضًا:

---

[19])- ديوان ابن خفاجة ، ص 471.

[20])- المصدر نفسه، ص452.

[21])- المصدر نفسه، ص335.

[22])- المصدر نفسه، ص83.

[23])- المصدر نفسه، ص 322.

طال ليلى في هوى قمر نام عن ليلى ولم أنم. [24]

والطباق في هذا المقطع هو بين(نام، لم أنم) وهو طباق السلب.

2.2-الجناس:

"هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وسبب هذه التسمية راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد." [25] وينقسم الجناس إلى نوعين: جناس التام، وغير التام.

يقول "ابن خفاجة":

وأتتك تسفر عن وجوه طلقة وتنوب من لطف عن السفراء. [26]

في هذا البيت ورد جناس تام تسفر في الشطر الأول والسفراء في الشطر الثاني بحيث وردت اللفتين بحروف متشابهة.

وقال في موضع آخر:

فلم أدر من صمت له وسكينة أكبره سنا ومرت منه أم كبر. [27]

ورد الجناس هنا شبه تام بين (كبره، كبر) الكبر في السن، والكبر بمعنى التعالي والتكبر على الغير: فتوافقت اللفظتان في الحروف واختلفا في المعنى.

---

[24])- ديوان ابن خفاجة، ص281.

[25])- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص276.

[26])- ديوان ابن خفاجة ، ص16.

[27])- المصدر نفسه ، ص 80.

يا ليل وجد بنجد أما لطيفك سرى. [28]

ورد الجناس في هذا البيت ناقص أي غير تام (وجد، نجد) حدث اختلاف في الحروف، واختلاف في المعنى، فوجد من الوجود، ونجد هو اسم مكان.

ويقول أيضًا:

يندي بأخلاق الصحاب هناك، لا يندي السحاب. [29]

جمع الشاعر في هذا البيت بين خناسين ناقصين وهما (يندي ويندي) بحيث وردا بنفس الحروف واختلاف في المعنى، أما الثاني (الصحاب والسحاب) فهنا اسمين اختلافا في الحروف والمعنى.

3/-التركيب النحوي:

يدرس المستوى التركيبي كل العلاقات والعناصر المكونة للقصيدة، بحيث أثناء قراءتنا لتركيب النحوي نلاحظ الأثر الجمالي الذي تخلفه الجملة بأنواعها.

1.3-الجملة الفعلية:

من الشائع و المعروف أن الجملة الفعلية هي التي تبدأ بالفعل، سواء كان فعلا ماضيا أم مضارعا، أم أمرا، باعتبار أنّ الفعل أساسي في بناء و تكوين الجملة الفعلية.

وظف الشاعر مجموعة من الأفعال أثناء حديثه عن جزيرة شقر حيث يقول:

وحَنَّ إلى شُقْر فَخَفَّ على السُّرى يَخوضُ خليجًا أو يَجُوب كثيـــبا

---

[28])- ديوان ابن خفاجة، ص80.

[29])- المصدر نفسه، ص31.

يَؤُمُّ بِها أرضًا عليَّ كريمـــــــــةً ومُرتبعـــا فيها إليَّ حبيبـــــــا

ونـهرًا كما أبيض المُقّبل سَلْسَـــــلاً وجِزْعا كما اخضرَّ العِذَار خضِيبـا

ورُبَّ نسيم مرَّ يخطُـــرُ عاطـــــرًا رقيق الحَواشي لا يُحَسَّ دبيبَـــــا

وجِدتَ به منْ ذَلِك المـــاء بلـــةً ومنْ نَوْر هاتيكَ الأباطح طيبـــــا

فَمَا كانَ إلاَّ أنْ هتَفْت حَمَامَةً وسَاعَدْتُ شَوْقي فاهْتَزَزْتُ قضيبَا. (30)

تشتمل المقطوعة التي بين أيدينا على جملة من الأفعال التي ساعدت على بعث الحركة و النشاط , باعتبار الأفعال توحي إلى الحيوية و النشاط وكذلك التجديد منها: "**حنَّ، يخوضُ، يَجُوب، يَؤُمُ، مرَّ، يخطرُ، يُحَسَّ، وجدت، هتفْتَ، ساعدتُ، اهتززتُ.**"

فالأفعال المضارعة توحي بالاستمرارية والامتداد والحركة .

ويقول في موضع آخر:

وَقَالَ: ألاَ كَمْ كُنْتُ مَلْجأَ فَاتِكٍ وَمَوْطِنَ أَوَّاهٍ تَبَتَّلَ تَائِبِ

وَكَمْ مَرَّ بِى مِنْ مُدْلِجٍ ومُؤَوِّبٍ وَقَالَ بِظِلِّى مِنْ مَطِىٍّ وَرَاكِبِ

وَلاَطَمَ مِنْ نُكَبِ الرِّياحِ مَعَاطِفِى وَزَاحَمَ مِنْ خُضْرِ الْبِحارِ جَوَانِبِ. (31)

في هذه الأبيات ورد الفعل الماضي حين وصف الشاعر الجبل وشخصه فقام يسرد عليه ما مر به من البشر فاستعمل أفعال ماضية لأنه في صدد الحديث عن ما مضى .

وقال أيضًا:

---

30)- ديوان ابن خفاجة ، ص 112

31)- المصدر نفسه، ص 216

بِدَارٍ سَقَتْهَا دِيمةُ إثْرَ دِيمَـــــــةٍ فَمَالتْ بِها الجدْرانُ سَطْرَ على سَطْـرِ

فَمَنْ عَارِضٍ يَسْقي ومنْ سقفِ مَجْلسٍ يُغَنَّى و منْ بيْتٍ يَميلُ منَ السُّكْــرِ

إذا مَا وَهَى ركْنُ فأَهْوَى فَإنَنـــــــي لأَشْجى منَ الخَنْسَاءِ تَبْكي على صَخْـرِ. (32)

غالبا ما يوظف الفعل لتذكر ما فات و مضى فان حاجة استعمال الأفعال الماضية ليعبر بها الحالة التي كانت عليه دار سكناه.

ويقول أيضًا:

يعيشك هل تدرى أهوجُ الجنائب تخبُّ برحلى أم ظهور النجائبِ

فمالحتُ في أولى المشارق كوكبًا فأشرقت حتى جبتُ أخرى المغاربِ

وحيدًا، تهادانى الفيافى فأجتلى وجوه المنايا فى قناع الغياهب. (33)

افتتح الشاعر هذه لأبيات من قصيدته "الجبل" باسم "يعيشك" ثم أتبعه بجمل فعلية، التي كما نلاحظ طغيانها في القصيدة ككّل، مما منح لها قدرًا كبيرًا من الحيوية والحركة والنشاط.

ومن الأفعال الواردة في هذه القصيدة:

زمن الماضي: أصخت، احدث، جلا...

زمن المضارع: يطاول، يسد، يزحم، يلوث...

عمد الشاعر إلى توظيف الأفعال أكثر من الأسماء، و توظيفه للفعل الماضي لأنه في صدد الحكي وتذكر ما مضى، أما الفعل المضارع فهو للتطلع لمستقبل أفضل و زاهر.

---

[32])- المصدر نفسه ، ص 308

[33])- ديوان ابن خفاجة ، ص 215.

فعل الأمر: يرد فعل الأمر بصيغة الطلب، يوجه إلى مخاطب و يراد منه القيام بفعل ما و الامتثال للأمر، و بهذا الصدد ورد قول ابن خفاجة:

قل للقبيح الفعال يا حسنا تملأت جفني ظلمة و سنا. (34)

فوض و سلم الى قدير تجري الليالي بما يريد

امنن بحسناك من جواد فبعض أسمائك الحميد

و أنجز الوعد من كريم إنْ لم يكن أنجح الوعيد. (35)

ورد فعل الأمر في هذه الأبيات نحو قل، فوض، سلم، أنجز. جاءت بصيغة طلب وامتثال، كما نلاحظ أن الشاعر وظف فعل بنسبة ضئيلة مقارنة بأفعال المضارع و الماضي.

ويقول "ابن خفاجة" أثناء سفرٍ، يتشوق إلى الوطن:

ألا هَلْ إلى أرضِ الجزيرة أوبــه فأسْكُن أنفاسًا وأهْدَ أمَضْجَعا

وأغدو براديها وقد نضج النّـــدى معاطف هاتيك الرّبى ثم أقْشعا

أغازل فيها للعزالة سُنّـــــــةُ تحط الصبا عنها من الغيم بُرْقَعَا

وقد فضَّ عقْدَ القطْر في كُلِّ تلْغة نسيمُ تمشي بيْنها فتضَـــوَّعا

وباتَ سَقِطُ الطلِّ يضْربُ سرْحــةً تَرِفُّ بوادِلِها وينْضَجُ أجْرَعَا. (36)

وظف الشاعر أفعال ماضية بكثرة أثناء حديثه عن ماضيه الذي كان يوحى إلى الفرح والسرور وكل جوانبه المشرقة، فهو يرى في ماضيه السكينة والسعادة.

---

34)- ديوان ابن خفاجة، ص 121.

35)- المرجع نفسه، ص 315.

36)- المصدر نفسه، ص128.

نلاحظ كثرة الأفعال في هذا المقطع الشعري منها: **أسكن، أهد، أغدو، أغازل، تحط، تمشي، بات، يضرب، ينضجُ....**

2.3-الجملة الاسمية:

الجملة الاسمية هي كل جملة بدئت باسم، كما يلزم فيها ان يحتل الاسم الصدارة. تتكون الجملة الاسمية من مبتدأ و خبر، مسند و مسند إليه.

يقول ابن خفاجة:

وغريبة هشة الى غريزة فوددتُ لوْ نسخ الضياءُ ظلاما. [37]

وخيرية بين النسيم وبينها حديث إذا جنّ الظلام يطيبُ. [38]

لله نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْحَـاء أَشْهَى ورُودًا مِنْ لَمَى الحَسْنَاءِ

مُتَعَطِّفٌ مثْلَ السِّوَار كَأَنَّـهُ والزَّهْرُ يَكْنُفُهُ مَجَرَّ سَمَـاءِ

قَدْ رَقَّ حَتَّى ظُنَّ قَوْسًا مُفْرَغا مِنْ فضَّة فِي بُرْدَة خَضْـرَاءِ

وَغَدَتْ تَحُفُّ بِهِ الغُضُونُ كَأَنَّهَـا هُدَبٌ تَحَفُّ بِمُقْلَة زَرْقَاءِ. [39]

وظف "ابن خفاجة" في هذه المقاطع الأسماء أكثر مقارنة بالأفعال، فاستعانة الشاعر بهذا القدر من الأسماء يعود إلى المقام الذي كان فيه وهو"الوصف" مما يؤكد المعنى أكثر.

---

[37])- ديوان ابن خفاجة ، ص 146.

[38])- المصدر نفسه ، ص 82.

[39])- المصدر نفسه، ص 356.

3.3-الجملة المنفية:

هي الجملة التي تأتي لنفي وقوع حدث ما، أو معلومة معينة، تأتي مرفوقة بأداة نحو: ليس، ما، لم، لا، لن.

يقول "ابن خفاجة" يصف عارض برد:

ألا نسخ الله القطـــار حجـــــــارةً تصوب علينا والغمام غمومـــا

وكانت سماء الله لا تُمطر الحصى ليالي كنّا لا نطيشُ حُلومَـــــا. [40]

وردت الجملة المنفية في البيت الثاني نحو:(لاتمطر) بحيث نفى الشاعر وقوع حدث الإمطار، إذ أن الله لا يمطر من السماء الحصى، فعمل الشاعر على اسباق الحدث بأداة نفي ألا وهي "لا" ، كذلك الأمر بالنسبة إلى الشطر الثاني بحيث نفى حصول فعل الطيش بأداة "لا" يقول في موضع أخر:

طال ليلي، في هوى قمـــــــــر نام عن ليلي و لم أنـــــــــــم. [41]

كأني لم آنس إلى اللّهو ليلـــــة ولم أتصفح صفحة الدهر راضيـا

ولم أتلق الريح تندى على الحشى سلوّا ولم أطرب إلى الطير شاديا. [42]

لقد وردة الجملة المنفية بكثرة في ديوان الشاعر، هذا ما لاحظناه في الأبيات السابقة بحيث لا يكاد يلوا البيت من أداة نفي، ففي البيت الأول نفى الشاعر نومه وأسبق الفعل بأداة "لم" التي

---

[40])- ديوان ابن خفاجة، ص 75.

[41])- المصدر نفسه ، ص 106.

[42])- المصدر نفسه ، ص 199.

تخللت تقريبا كل الأبيات الواردة في المقطع منها:"لم آنس، لم أتصفح، لم أتلقى، لم أطرب"، إن توظيف الشاعر لصيغة النفي يعود إلى تركيزه على التوكيد والتدقيق أكثر.

4-التقديم والتأخير:

تتكون الجملة من مبتدأ وخبر، أي مسند ومسند إليه ، أومن فعل وفاعل، والأصل أن يتقدم الفعل على الفاعل والمبتدأ على الخبر، لكن قد يحدث تغير و نقل للكلمات عن مواضعها الأصلية في الجملة إلى مواضع أخرى سواءً كان ذلك بتقديمها أو تأخيرها.

"التقديم والتأخير أحد أساليب البلاغة، وهو دلالة على التمكن في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام، ووضعه في الموضع الذي يقتضيه المعنى." [43]

ومن الأمثلة الواردة في ديوان ابن خفاجة التي تنصب في هذا المنحى، نجد قوله :

فِي مَوْطِنٍ نَزَلَته جُرْهُمْ قبْلهُ وتَحَولَتْ إِرَمُ إليهِ وَعَادُ. [44]

قدم الشاعر شبه الجملة في هذا البيت "في موطن" على الفعل ألا وهو "نزلته"، وتقدير الكلام أو أصل الكلام أن يأتي الفعل أولاً ثم تليه شبه الجملة نحو نزلته في موطن.

يقول في موضع آخر:

سادوا وقادوا ثم أجلى جمعهم عن وحدة فكأنهم ما قادوا. [45]

---

[43])- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص97.

[44])- ديوان ابن خفاجة، ص 233.

[45])- المصدر نفسه، ص 233.

في هذا البيت نلاحظ أيضًا في الشطر الثاني تقديم شبه الجملة "**عن وحدةٍ** " عن عل أصل الكلام فكأنهم عن وحدةٍ ما قدموا، و عمد الشاعر إلى تقديم شبه الجملة لغرض لفت الانتباه ولأنه أكثر تأثير على الأسماع .

تقديم المبتدأ على الخبر :

يقول ابن خفاجة:

من كل هضبة سؤدد هز الـــــــــندى أعطافه طـــربًا فســـال

من موقف أفصحت بيض السيوف به فلا هوادة بين السيف و العنق.[46]

احتل المبتدأ الصدارة في البيتين لأنهما ابتدأ بـ "**من**" وهي من ألفاظ التي تحتل الصدارة في الكلام، فتقدم المبتدأ لتقوية المعنى أكثر.

أما بالنسبة للفعل فقد احتل الصدارة في تراكيب كثيرة، فالفعل يوحي إلى الحركة، وفي هذا الصدد يقول ابن خفاجة :

فجاءت بحَمراءَ وقـــــــادةٍ تلهَبَ في كَأْسهَا كَوْكَبَا

فقعدت بالغدار قعدة خالـــعٍ ثوب الغزارة عنه فهو ذليلُ

وهددتَ هضبةَ عزه فكأنهَـــا نسفًا كَثيب بالعَرَاء مَهيلُ

فَتَطوقت بِالهَون منه حَمَامَةُ يَعتادُهَا تَحتَ الظَلام عَويلُ. [47]

[46])- ديوان ابن خفاجة، ص 253.

[47])- ديوان ابن خفاجة، ص 253.

إن تقديم الفعل في هذه الأبيات كان أمر لابد منه، لما لهذه الأفعال دور كبير في تأكيد المعنى لدى المتلقي.

5-الروابط :

تعتبر الروابط من العناصر الأساسية التي تقوم عليها القصيدة ، فلا يمكن بأي شكل من الأشكال الاستغناء عنها ، ومما أظهر ذلك توظيف ابن خفاجة لها بنصيب كبير خاصة في قصيدة الجبل في قوله:

وَأَرْ عَنَ طَمَّاحِ الذُّؤَابَةِ بَاذِخٍ يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّماءِ بِغَـــــاربِ

يَسُدُّ مَهَبَّ الرِّيحِ عَنْ وِجْهَةِ وَيَزْحَمُ لَيْلاً شُهْبَهُ بالمَنَاكِـــــــبِ

وَقُورٍ عَلَى ظَهْرِ الْفَلاَةِ كَأَنَّهُ طِوالَ الليالي مُطْرِقٌ فِي الْعَوَاقِبِ.

يلوثُ عليه الغيمُ سود عمائم لها من وميض البرقِ حمُرُ الذوائبِ

أصختُ إليه وهو أخرسُ صامتُ فحدثني ليلُ السُّرى بالعـجـــــائب

وقال ألا كم كنت ملجأَ فاتـــــكٍ وموطن أوَّاهٍ تبتّل تـــــــــــائبِ

وكم مرّ بي منْ مدلجٍ ومؤوّبٍ وقال بظلي من مطيّ وراكـــــبِ

ولا طم من نكبِ الرّياح معاطفي وزاحم من خضر البحار جوانبي

فما كان إلا أن طوتهم يدُ الرّدى وطارت بهم ريحُ النّوى والنوائب

فما خفقُ أيكي غير رجفـــــــةِ ولا نوح ورقي غير صرخة نادب

وما غيض السلوان دمعي وإنّما نزفت دموعي في فراق الأصاحب. [48]

وردت العديد من الروابط في هذه القصيدة منها: "**كأن**" التي تفيد التشبيه، و"**ما، إلا، إنما**" تفيد الحصر و"**كم**" تفيد العدد و"**ألا**" تفيد التنبيه.

من حروف العطف **الواو** "ويزحم"

من حروف الجر:"**الباء، إلى، من، على...**" "بغارب". "**على**" تفيد الاستعلاء.

تعمل الروابط على تحقيق التوازن بين الجمل و الأبيات و الفقرات، تساهم في إضفاء الترابط والتكامل في الأجزاء ممّا يسفر اتساقًا وانسجامًا.

6- الأساليب:

1.6- الأسلوب الإنشائي:

الأسلوب الإنشائي هو "ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقًا وكذبًا، وهو لا يحصل مضمونه إذا تلفضت به" [49]

للأسلوب الإنشائي عدة أغراض: النداء، الاستفهام والتمني...

ونحن عمدنا على التركيز على التركيز على الأسلوب الأكثر ورودًا في الديوان

1.1.6- النداء:

يستعل النداء لعرض لفت لانتباه المخاطب، و"هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النداء"

---

[48])- ديوان ابن خفاجة، ص 216.

[49])- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2007، ص63.

أدوات النداء ثمانٍ هي: الهمزة وأي، ويا، و آ، وآي، وأيا، وهيا، و وا، [50]وقد يرد النداء حقيقيا أو غير حقيقي.

ويقول "ابن خفاجة" في أسلوب النداء:

فيا شرح الشَّباب ألا لقاء يبلُّ به على يأسٍ أُوَامُ

ويا ظِلَّ الشبابِ وكنْت تنْدى على أفياء سرحتكَ السَّلاَمُ. [51]

يا ضاحكًا مك فيه جهلاً أحسنُ منْ ضحْكَ البكاءُ. [52]

يا جامعًا بمساويهِ وطلْعته بين السَّواديْن منْ ظُلمٍ ومن ظلمِ. [53]

ورد النداء في المقطع بصيغة "يا"، ولم يعمد إلى استخدام صيغ أخرى باعتبارها الأكثر استعمالاً، فهي التي تفي بالغرض في الموضع الذي هو فيه الشاعر.

إن توظيف "ابن خفاجة" لهذا الأغراض في خطاباته بكثرة ما هو إلا دليل على قوة أسلوبه ولغته الراقية، بحيث عكس جانبه الانفعالي، وصدق تجربته الشعرية والشعورية.

2.1.6-الاستفهام:

يعتبر الاستفهام من الأساليب الإنشائية، "الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل".[54] والذي ينقسم إلى نوعين: استفهام حقيقي الذي عادةً ما يرد لغرض السؤال أي

---

[50])- ديوان ابن خفاجة، ص 84.

[51])- المصدر نفسه ، ص 65.

[52])- المصدر نفسه ، ص 68.

[53])- المصدر ، ص 77.

[54])- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص73.

الاستفهام والتساؤل عن أمر مجهول، والنوع الثاني استفهام غير حقيقي، يخرج عن غرضه الأساسي إلى تعجب أو غيره (فهو لا ينتظر الإجابة).

ومن أدوات الاستفهام نجد: من، أين، متى، أ، هل.

يقول "ابن خفاجة" في وصفه للروض:

هلْ هي إلا جملة من محاسن تغايرُ أبصارُ عليها. [55]

وهلْ خاصَ جرعاءُ وادي الْغَضَن يلاعبُ أفنانها عِطفهُ. [56]

وظف الشاعر أثناء وصفه أسلوب إنشائي بصيغة استفهامية التي احتلت أداة الاستفهام هل صدارة الكلام.

يقول في موضع أخر:

يعيشك هل تدرى أهوجُ الجنائب تخبُّ برحلى أم ظهور النجائبِ

فحتى متى أبقى ويظغن صاحب أودع منه راحلا غير آيـــــــب

وحتى متى أرعى الكواكب ساهرا فمن طالع أخرى الليالي وغارب.

وردت هذه الأبيات بصيغ استفهامية خرجت عن معانيها الأصلية التي تتمثل في التساؤل، وجاءت لتعبير عن غرض التعجب والحيرة.

[55])- ديوان ابن خفاجة ، ص98.

[56])- المصدر نفسه ، ص 100.

2.6-الأسلوب الخبري:

لقد شاع الأسلوب الخبري في قصائد الشاعر باعتباره "قول يحتمل الصدق والكذب، والمقصود بصدق الخبر مطابقته للواقع، والمقصود بكذب الخبر وعدم مطابقته للواقع." [57]

يقول "ابن خفاجة":

يَا أَهْلَ الأَنْدَلُسِ للهِ دَرُّكُـــــــــمُ مَاءٌ وَظِلٌ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَـــــارٌ

مَاجَنَّةُ الخُلْدِ إلاَّ في دِيَارِكُـــــم وَهَذِهِ كُنْتُ لَوْ خَيَرْتُ اَخْتَـارُ

لاَ تَتَقُوا بَعْدَهَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الجَنَّةَ النَّارُ. [58]

الشاعر في هذه الأبيات بصدد الإخبار والنقل، بحيث أخبرنا بما للأندلس من نعيم:ماء، ظل، نهر، أشجار...فالأندلس في نظر الشاعر جنة الخلد.

نجد الشاعر إلى جانب توظيفه للأسلوب الخبري قد وظف كذلك الأسلوب الإنشائي بداية بقوله:"**يا أهل الأندلس**" ونوعه النداء وعرضه لفت الانتباه.

[57])- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص56.

[58])- ديوان ابن خفاجة، ص 364

خاتمة

خاتمة:

بعد الإطلاع على ديوان "ابن خفاجة" وتحليلنا لبعض القصائد من هذا الديوان، توصلنا إلى هذه النتائج التالية:

- تعددّت مفاهيم المكان، بحسب انتمائه اللغوي والاصطلاحي والفلسفي.
- ظهور المكان في شعر "ابن خفاجة" بمواصفات جمالية متنوعة، يجمع ما بين الوصف والصورة زالدلالة.
- شكل "ابن خفاجة" صورة استثنائية للمكان من خلاله تترجم الأحداث والاضطرابات النفسية للشخصيته.
- الطبيعة هي العين التي تنفجر منه شاعريته وفي أرجائه يطوف خياله،انها كائن حي يحبها وتحبه يناجيها وتناجيه.
- حصول الشاعر على عدة ألقاب دلالة واضحة على تميزه بين أقرانه ومن هذه الألقاب(شاعر الطبيعة الأول) و (جنان الأندلس) و (وصاف الطبيعة) و (الصنوبري)
- يمتاز أسلوب ابن خفاجة الشعري بالجودة والتمكن من اللغة، وان تعدد الصور في البيت الواحد دليل على إبداعه وجودة نظمه فكان رقيق الشعر أنيق الألفاظ وقد تناول في شعره معظم الأغراض الشعرية و بالخصوص الوصف ولاسيما وصف الطبيعة، ولقد تفرد بهذا الغرض.
- يعتبر ابن خفاجة مدرسة لها مذهبها الفني، والذي عبر عنه بعض النقاد القدماء(المنهج الخفاجي)

- يعتمد ابن خفاجة على الصور الشعرية وسيلة لتعبير عن مشاعره وأحاسيسه وعلى إحساساته النفسية، وقد كونت صورة جديدة وطبعها بطابعه الخاص.

من خلال دراستنا للبنية التركيبية يتجلى الآتي:

- وظف الشاعر التراكيب الفعلية والاسمية وهي ترتبط برؤية الشاعر الخاصة وبحالات نفسية وسياقات عامة يتشكل من خلالها الخطاب الشعري.

- أكثر ابن خفاجة من أسلوب النفي في خطابه الشعري، وعادة ما يرتبط هذا النفي بأسلوب الإثبات فيشكل هذا التجاوز بين أسلوب النفي والإثبات.

-شكل كل من الاستفهام والأمر ابرز التراكيب الإنشائية التي شاعت في القصيدة.

وفي الأخير ما عسانا إلا أن نقول إن دراستنا قد تكون أصابت في موضع، وتعثرت في آخر فالكمال من شيم الله عزّ وجلّ، كما أن الخطاب الشعري يبقى مجال مفتوح لأي باحث وقارئ، ونتمنى أن يفتح عملنا المتواضع أبوابا أخرى لقراءات مغايرة لديوان "ابن خفاجة".

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع المدني، منار للنّشر والتوزيع، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 2005.

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

1- أحمد الأمين الشنقيطي: شرح المعلقات العشر و أخبار شعرائها، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط3، 2000.

2- ديوان ابن خفاجة:تحقيق مصطفى غازى، الناشر منشأ المعارف بالإسكندرية، دار المعارف مصر، 1960.

ب-المراجع:

1-الأزهر الزناد:دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز العربي الثقافي، بيروت، ط1، 1992.

2-باديس فوغالي: الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008.

3-غيداء أحمد سعدون شلالش: المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، الموصل العراق، المجلد 11، ع2، 2011.

4-فوزى سعد عيسى، دراسات في أدب المغرب والأندلس، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.

5-يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2007.

6-يوسف عطا الطريفي، المغرب والأندلس، ط1، الأهلية للنشر و التوزيع، الأردن، 2007.

ج-المراجع المترجمة:

1-غاستون باشلار: جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، ط6، 2006.

د-المعاجم والقواميس:

1-ابن منظور: لسان العرب، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1993.

2-جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، الشركة العالمية لكتاب، لبنان، د ط، 1994.

3-مجد الدين يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج4،دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، دت.

هـ-<u>الرسائل الجامعية:</u>

1-حنان بوقرة: جماليات المكان و الزمان في "رواية الفضيلة" لمصطفى لطفي المنفلوطي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم اللغة و الأدب العربي جامعة المسيلة، 2016.

2-زاهر بن بدر الغُسيني، علاقة اللون بالصورة الشعرية في شعر ابن خفاجة الأندلسي، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان.

3-نصيرة زوزو: "إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر" مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع 6، جانفي 2010.

و- <u>المجلات العلمية:</u>

1-حازم حسن سعدون: تجليات المكان في شعر السّريّ الرّفّاء، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة المستنصرية، قسم اللغة العربية، المجلد الأول، ع210، 2014.

الفهرس

الفهرس

- مقدمة.....أ
- مدخل مفهوم المكان وأنواعه.....6

1-المفهوم اللغوي للمكان.....6

2-المفهوم الاصطلاحي للمكان.....8

3-مفهوم المكان في المنظور الفلسفي.....9

4-الإشكالية الاصطلاحية للفضاء والمكان.....11

5-أنواع الأماكن..... 13

1.5- الأماكن المفتوحة.....14

2.5- الأماكن المغلقة.....14

3.5- أماكن الإنتقال.....15

4.5- أماكن الإقامة.....15

6- تجليات المكان في الشعر العربي القديم.....16

- الفصل الأول: أنماط المكان.....21
  - المبحث الأول جماليات المكان الطبيعي..... 21

1-الطبيعة.....21

2-الحديقة.....22

3-الأنهار.....24

4-الثلجيات..... 25

5-الجبال..... 26

- المبحث الثاني:وصف المدينة والعمران.....27

1-المدينة.....28

1.1- بلدته.....28

- البحث الثالث المكان الواقعي والمكان المتخيل.....31
- البحث الرابع: الأماكن المغلقة والمفتوحة.....33

1-الأماكن المفتوحة..... 34

1.1- الحديقة.....34

2.1- البحر.....35

3.1- الزهريات.....36

2-الأماكن المغلقة.....36

- الفصل الثاني: أبعاد المكان ودلالاته في شعر ابن خفاجة.....37

- المبحث الأول البعد النفسي للمكان.....39
- المبحث الثاني البعدان التاريخي والفكري.....45
- المبحث الثالث التصوير البياني للمكان.....50

1-الصورة البيانية.....51

1.1- التشبيه.....51

2.1- الإستعارة.....53

3.1- الكناية.....55

2- المحسنات البديعية.....57

1.2- الطباق.....57

2.2- الجناس.....59

1-التركيب النحوي.....60

1.3- الجملة الفعلية.....60

2.3- الجملة الاسمية.....64

3.3-الجملة المنفية.....65

4- التقديم والتأخير.....66

5-الروابط.....68

6-الأساليب.....69

1.6-الأسلوب الإنشائي.....69

1.1.6- النداء.....69

2.1.6- الإستفهام.....70

2.6- الأسلوب الخبري.....72

- الخاتمة.....74
- قائمة الصادر والمراجع.....77
- الفهرس.....81